المبحث الأول: المقارنة في تعريفهما

المطلب الأول: تعريف التفسير بالمأثور:

ويجدر على الباحث قبل التعريف بالتفسير بالمأثور توضيح معنى المأثور مِن ناحية الإفراد لغةً واصطلاحًا، ثم تعريفه مُركبًا مع التفسير.

فالمأثور لغةً: لفظ مشتق من الأثر، وهو: بقيّة ما يرى من كل شيء، وما لا يرى بعد ما يبقى علقة، وأثر السيف ضربته. وأثروا الحديث: أن يأثره قوم عن قوم، أي: يحدّث به في آثارهم، أي بعدهم[31].

ويأتي الأثر بمعنى الخبر، والجمع آثار. وسنن النبيّ صلى الله عليه وسلم: آثاره. ومن هذا قيل: حديث مأثور، أي يخبر الناس به بعضهم بعضا، أي ينقله خلف عن سلف[32].

أما تعريف الأثر اصطلاحًا، فلعله يطلق عند المحدثين: ما يروى من السنة مرفوعا[33] أو موقوفا[34] أو مقطوعا[35]، وأحيانا يفرقون بين المرفوع فيسمونه خبرا، والموقوف فيسمونه أثرا[36].

وما يعني الباحث في هذا البحث، الأثر وعلاقته بالتفسير، فيكون تعريف التفسير بالمأثور: "تفسير القرآن بالقرآن نفسه، أو ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم، أو ما نقله الصحابي والتابعي بيانًا لما جاء في كتاب الله[37]".

---

31 الفراهيدي، العين، مادة أثر (273/8).

32 ابن منظور، لسان العرب، مادة أثر (6/4).

33 الحديث المرفوع: هو ما أضيف إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة أو أخلاق. ينظر: النووي، التقريب. ص (32).

34 الحديث الموقوف: ما أضيف إلى الصحابي من قول أو فعل ونحوه. المصدر نفسه. ص (33).

35 الحديث المقطوع: ما أضيف إلى التابعي من قول أو فعل. المصدر نفسه. ص (34).

36 المصدر نفسه. ص (33) وينظر: السيوطي، تدريب الراوي (274/1).

37 ينظر: الزركشي، البرهان (158/2-159)، وينظر: الزرقاني، مناهل العرفان (12/2 وما بعدها).

Prince of Songkla University Pattani Campus

المطلب الثاني: تعريف التفسير بالرأي:

الرأي لغة: الاعتقاد، والعقل، والتدبير، والنظر والتأمل، والاجتهاد. يقال: رأيته رأي العين: حيث يقع عليه البصر. والرأي عند الأصوليين: "استنباط الأحكام الشرعية في ضوء قواعد مقررة. — ومعنى الرأي هنا: الاجتهاد، وهو الذي سيقصده الباحث عند تعريف التفسير بالرأي- والجمع آراء[38]".

وفي ضوء ما سبق؛ فإن التفسير بالرأي: "هو بذل الجهد في تفسير كتاب الله بعد توافر شروط معينة، مثل معرفة كلام العرب وأساليبهم، ودراسة الألفاظ القرآنية بالاستعانة بالشعر الجاهلي، والوقوف على أسباب النزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وغيرها[39]". وسيأتي ذكر هذه الشروط عند الحديث عن ضوابط التفسير بالرأي إن شاء الله.

المطلب الثالث: المقارنة بين تعريف التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي:

مما سبق، لم يُعْطِ التعريفان فرقًا واضحًا بحيث يتميز تعريف التفسير بالمأثور عن التفسير بالرأي؛ لأنَّ في اعتماد التفسير بالرأي على الاجتهاد لا يمكن أن يتأتى دون الوقوف على صحيح الأثر، سواء اعتمد المفسِّرُ بالرأي في تفسيره على أسباب النزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ أو الاستعمالات اللغوية، ويمكن القول: إنَّ الفرق بين التعريفين يَكْمُنُ في جهة النقل، بوجه آخر: كيف وصل إلينا التفسير، فالجواب حينئذ:

-ما كان طريق الوصول إليه عن طريق الأثر، فهو التفسير بالمأثور، فالمفسر بالمأثور يعتمد على صحيح المنقول والآثار الواردة في الآية فيذكرها، ولا يجتهد في بيان معنى من غير دليل، ويتوقف عما لا طائل تحته، ولا فائدة في معرفته ما لم يرد فيه نقل صحيح.

-وما كان طريق الوصول إليه عن طريق الاجتهاد، فهو التفسير بالرأي، فالمفسر هنا مَنْ يَبْذُلُ جُهْدَهُ وَوَسْعَهُ في فَهْم النص القرآني، وأصول الشريعة في الفهم والاستنباط، مع الاطلاع على المأثور في تفسير الآية. وَمِنْهُ رَأْيُ أبي بكر رضي الله عنه في الكلالة، فيعتقد إنْ كان رأيُهُ صائبًا أنه من الله، وإن كان رأيه خطأً فَمِنْهُ ومِنَ الشيطان والله منه بريء[40].

---

[38] ينظر: مجموعة من المؤلفين، المعجم الوسيط. ص (320).

[39] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (183/1) وينظر: الزركشي، البرهان (156/2 وما بعدها).

[40] ينظر: الطبري، جامع البيان (475/4).

Prince of Songkla University Pattani Campus

فزبدة الفرق بين تعريف التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، هو الأثر والنقل؛ فالتفسير بالمأثور يعتمد على الأثر الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين، فإن خلت الآية من أحد هذه النقول السابقة جاء دور التفسير بالرأي بضوابطه الذي سيأتي بيانه لاحقًا.

المبحث الثاني: المقارنة في تاريخ نشأتهما

لا بد قبل المقارنة في تاريخ نشأة التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي الحديثَ عن تاريخ تدوين التفسير، ومن هنا ينبثق هذا السؤال، متى ظهر تدوين التفسير؟ وهل كان هناك تفسيرٌ في عَهْدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

فيقول الباحث وعلى الله معتمده:

نزل القرآن الكريم بِلِسَانٍ عربيٍ مُبينٍ على رسول الله النبي الأمي الأمين صلى الله عليه وسلم ، منجمًا حَسَبَ النوازل والوقائع والأحداث، وأحيانًا بل أغلبه كان ينزل بلا سبب، وقد تكفل الله لنبيه بحفظ القرآن حين ينزل عليه، فقال تعالى: { لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ *فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة:16-18] ومن الطبيعي ألا يقتصر الأمرُ على حِفْظِ الألفاظ فقط، وإنما شمل أيضًا معرفة معانيها وأسرارها وحكمها ما لا يدركها أحدٌ سوى الله سبحانه وتعالى، ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغ أصحابه ما نزل عليه ويقرأ لهم على مكث؛ ليحفظوه ويفهموا معناه ويدركوا أسراره، قال تعالى: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل:44]. وكان الصحابة رضوان الله عليهم حَرِيصِينَ أشد الحرص على حفظ القرآن، كلٌ بِحَسَب استطاعته وقوة حفظه قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ، وكانوا يعرفون الشيءَ الكثير من معاني القرآن وعلومه بمقتضى سليقتهم العربية؛ كَوْنُهُم عَرَبًا خُلَّصًا امتازوا بصفاء الذهن، وَحِدَّة الفكر، والتأني والتدبر، وسلامة الصدر، أتقياء أنقياء، شاهدوا تنزلات الوَحْيِ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يسمعه غيرهم، ورأوا أحواله عليه الصلاة والسلام، والظروف والملابسات التي كانت تصحبه مع تنزل القرآن ما لم يره أحد، ومع اجتماع تلكم الميزات فقد كان يخفى عليهم معاني بعض الآيات كقوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ} [الأنعام:82]، فقال أحدهم: وَأَيُّنَا لا يظلم؟ فَبَيَّنَ لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن المقصود بالظلم هنا هو الشرك، لقوله تعالى: {يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان:13]، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يُبَيِّن لهم ما خَفِيَ من المعاني ولكن كان قليل، والسبب كما ذكر الباحث أن الصحابة كانوا على دراية بالمعاني بسبب تدبرهم وعربيتهم الأصيلة ومعايشتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بعد وفاة رسول الله صلى الله

عليه وسلم بَلَّغَ الصحابةُ رضوان الله عليهم ما حملوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وتفسيره وعلومه و(اجتهادهم)- كما سيأتي الحديث عن التفسير بالرأي (المحمود) إلى مَنْ بَعْدِهِم مِنَ التَّابعين،[41] وهم بدورهم بَلَّغُوهُ إلى مَنْ جاء بعدهم مِنْ تابع التابعين، إذن فقد كان المعتمد في حفظ العلوم – أي القرآن وعلومه، إضافة إلى علم الحديث- في هذه القرون الأولى على الرواية والتلقي والمشافهة لا على الخط والكتابة، وظل الأمر كذلك حتى أَنْ جاء عصرُ التدوين، فكُتبت المعارف والعلوم في السطور بعد أن كانت محفوظةً في الصدور. ولعل السبب يعود في عدم كتابة التفسير وعلوم القرآن وغيره من العلوم في عصر الصحابة والتابعين، هو قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تَكْتُبُوا عَنِّي وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ وَحَدِّثُوا عَنِّي وَلا حَرَجَ...[42])) فَمِنْ أَجْلِ هذا لم يُدَون التفسير والعلوم الأخرى، فقد تحرج الصحابة من تدوين شيءٍ غير القرآن، حتى الحديث وعلومه كما ذكر الباحث، فقد كان مقتصرا على الرواية والمشافهة والتلقي[43].

والسؤال كيف دُون علم التفسير إذن؟

مما سبق عُرِف أن التدوين في العصور الأولى كان مقتصرا على القرآن فقط، ولكن عندما اتسعت رقعة الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وأسلم الكثير من العجم؛ ضعفت السليقة وفشا اللحن وخفي الكثير من المعاني فكان أَنْ أشار سيدنا علي[44] بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى أبي الأسود الدؤلي[45] بَوَضْعِ عِلْمٍ يضبط ويحفظ أصول اللغة العربية، فمن هنا كان نشأة علم النحو وكان فاتحةُ خيرٍ لتدوين اللغة العربية وبقية علوم الدين[46].

---

[41] رُوِيَ عَنْ مجاهد وهو أحد التابعين قال: "عرضت المصحف على ابن عباس أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها". ينظر: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير. ص (10).

[42] أخرجه مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، رقم الحديث (3001) (298/4).

[43] ينظر: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير. ص (10-11) القرطبي، مقدمة الجامع لأحكام القرآن (2/1) الزركشي، البرهان (158/2-159).

[44] هو الخليفة الرابع علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ولد سنة 23 ق. هـ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره على ابنته فاطمة رضي الله عنها، أول من أسلم من الصبيان، كان يتفجر منه ينبوع الحكمة، استشهد سنة 40 هـ على يد أحد الخوارج. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (55/4).

[45] أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني، ولد سنة 16 ق. هـ، من ساداتِ التابعين، وضع علم النحو في اللغة العربية وشكّل أحرف المصحف بأمر من الإمام علي بن أبي طالب. توفي في البصرة سنة 69 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (81/4-86).

[46] ينظر: أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم. ص (31-32) وينظر: الطنطاوي، نشأة علم النحو. ص (30-31).

وفي العصر الأموي والعباسي ازدهرت الكتابة واتسعت دائرة التأليف، وَضُمَّ إلى عِلْمِ اللغة غيرها من العلوم، فأمر الخليفةُ عُمَرَ بن عبد العزيز[47] علماءَ الأمصار بجمع الأحاديث؛ خوفًا من ضياعها بذهاب العلماء، وحتى يتسنى معرفة الصحيح من السقيم، والمقبول من المردود[48].

أمَّا عِلْمُ التفسير فَأَلَّفَ أَئِمةٌ في التفسير مِنْ بينهم: مُقَاتِل بن سليمان[49] ت: 150 هـ، وشُعْبَة بن الحجاج[50] ت: 161 هـ، وسُفْيَان الثَّوْري[51] ت: 161هـ، ووَكيع بن الجراح[52] ت: 197هـ، وسُفْيَان بن عيينة[53] ت: 198 هـ، وكانت تفاسيرهم جامعة لأقوال الصحابة والتابعين. فكانت بذلك نشأة التفسير بالمأثور[54]. ثم تلاهم محمد بن جرير الطبري ت: 310 هـ، وجاء بتفسيره المشهور-سيأتي ذكره عند ذكر أهم كتب التفسير بالمأثور- إِذْ يُعْتَبَرُ تفسيره مِنْ أهم التفاسير بالمأثور، وبدايةً لتأليف التفسير بالرأي؛ لما اشتمل تفسيره على ترجيحات لأقوال المفسرين بعد توجيهها. ثم أخذ التفسير يتغير شيئا فشيئا فُحِذَفَ الأسانيد ودَخَلَ إليه الإسرائيليات، ثم أخذ التفسير يُؤَلَف بحسب الموضوع، كأسباب النزول، والناسخ

---

[47] أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، ولد سنة 61 هـ، ونشأ عند أخواله آل عمر بن الخطاب، ثامن خلفاء بني أمية، تولى الخلافة سنة 99 هـ. تميزت خلافته بالعدل والمساواة، قُتل مسموما سنة 101 هـ. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية (678/12).

[48] ينظر: المطيري، تاريخ تدوين السنة وشبهات المستشرقين. ص (50-53).

[49] هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، صاحب التفسير المسمى "تفسير مقاتل". أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها، لكن كان متروكا أي كان متروك الحديث، توفي سنة 150 150 هـ. ينظر: المصدر السابق (201/7-202).

[50] الإمام الحافظ أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد الأزدي العتكي، مولاهم الواسطي، عالم أهل البصرة وشيخها، سكن البصرة من الصغر، ورأى الحسن، وأخذ عنه مسائل، ولد سنة 80 80 هـ وقيل سنة 82 82 هـ، وتوفي سنة 160 160 هـ. ينظر: المصدر نفسه (208/7).

[51] سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع، أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد ، مصنف كتاب " الجامع ". ولد سنة 97 هـ، طلب العلم وهو حدث باعتناء والده. توفي في البصرة سنة 161 161 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (229/7-280).

[52] وكيع بن الجراح ، بن مليح ، بن عدي بن فرس بن جمجمة، الإمام الحافظ ، محدث العراق. ولد سنة 129 129 هـ، من أشهر تلامذته أحمد بن حنبل والشافعي الذي قال فيه: شكوت إلى وكيع سوء حفظي. توفي سنة 197 197 هـ وهو قافل من الحج. ينظر: المصدر نفسه (157/9-168).

[53] سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم الهلالي، إمام ومحدث شهير وعرف بالزهد والورع. ولد في الكوفة سنة 107 107 هـ. طلب العلم وهو غلام وروى الحديث عن الكبار ومنهم: الزهري. توفي سنة 198 هـ. ينظر: المصدر نفسه (458/8-475).

[54] ينظر: الزركشي، البرهان. (158/2-159) وينظر: أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم. (32/1). وينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (112/1-113).

Prince of Songkla University Pattani Campus

والمنسوخ، كما ظهر التفسير اللغوي والبلاغي، كما تَلَوَّن التفسيرُ حسب لون معتقد المؤلف– كما سيأتي في البحث عن أنواع التفسير بالرأي[55].

ومما سبق تبين للباحث أن التفسير بالمأثور كان أسبق من التفسير بالرأي في التدوين والظهور في دفة الصحف والكتب، وأيضًا مِنَ الصعب فصلُ التفسير بالرأي عن التفسير بالمأثور، وأن يقال: إنَّ التفسير بالرأي لم يكن موجودا حتى بعد عصر تدوين التفسير بالمأثور! بل يبدو للباحث والله أعلم أن في اختيار المفسر بالمأثور للروايات في أي موضوعٍ إنما اختاره مِنْ قِبَلِ نظرِهِ واجتهادِهِ ولا أَدَلَّ على ذلك ما سار عليه الإمام الطبري في تفسيره[56] ولكن هو كما ذُكر؛ سَبَق التفسير بالمأثور على تفسير بالرأي في التدوين.[57]

المبحث الثالث: المقارنة في أنواعهما

بما أن التفسير بالمأثور أسبق في التدوين من التفسير بالرأي، فمِنَ المناسِب أَنْ يبدأَ الباحث بالحديث عن أنواع التفسير بالمأثور، ويقول وبالله التوفيق:

المطلب الأول: أنواع التفسير بالمأثور:

قد تبيَّن فيما مضى تعريف التفسير بالمأثور وأنه يعتمد على النَّقْلِ بشكل أساسي، لذا لن يخرج التفسير بالمأثور عَنْ هذه الأنواع الأربعة:

– النوع الأول: تفسير القرآن بالقرآن: فما يكون مُجْمَلاً في مَوْضِعٍ فقد يُفَسر في موضِعٍ آخر، وما يكون مختصرًا فلعله قد شُرِح وبُسِط في مكانٍ آخر[58]. مثاله: قوله تعالى: {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف: 23]، فقد فسر قوله تعالى: {فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ...} [البقرة: 37]. وقوله تعالى: {أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ

---

[55] ينظر: المصادر نفسها.

[56] وسيأتي الكلام على منهج الإمام الطبري في تفسيره عند ذكر أهم المفسرين بالمأثور وأهم كتبهم.

[57] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (1/112-113).

[58] ينظر: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير. ص (39).

Prince of Songkla University Pattani Campus

..} [المائدة:1] فقد فسره قوله تعالى: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ...} [المائدة: 3].

– **النوع الثاني: تفسير القرآن بالسُّنَّة:** فإنَّ السُّنَّةَ جاءت مُبيِّنَةً للقرآن وشارحةً له، فَكَمْ مِن حُكْمٍ في القرآن لم يُذْكر تفصيلُه، وإنما اعتنى شرحَه السُّنَّةَ، مثاله: مواقيت الصلاة، وكيفية الصلاة، وعدد ركعاتها، وكذلك النِّصَاب في الزكاة وغيره. قال تعالى: {بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل:44]. وأَنَّ مَا حَكَمَ به الرسول صلى الله عليه وسلم فهو مما فَهِمَه مِنَ القرآن. قال الله تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} [النساء: 105]. وقال صلى الله عليه وسلم: ((أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ...[59])) يعني السُّنَّةَ ومثالها كثير، منها: تفسير النبي صلى الله عليه وسلم الظُّلْمَ بِالشِّرْكِ، والحساب اليسير بِالْعَرْض، والقوة بِالرَّمْيِ[60].

– **النوع الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة:** وذلك لِأَنَّهُم شاهدوا تنزلات الوَحْي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وَبِمَا امْتَازُوا به مِنَ الفَهْمِ الخالص والعمل الصالح، كما أَنَّهُمْ إِذَا تَلَاْ عليهِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شيئًا مِنَ القُرآن بَقَوْا عليه مُدةً يحفظونها ويتعلمونها ويعملون بها. وقد قيل: قولُ الصَّحَابي فيما لا مجال للاجتهاد فيه له حكم المرفوع كأسباب النزول، ومنه ما صح عن ابن عباس[61] وغيره من الصَّحَابة مِمَّا هُوَ ثابِتٌ في كُتُبِ التفسير بالأسانيد الصحيحة كتفسير الطبري[62].

---

[59] ينظر: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير. ص (40).

[60] رواه أبو داود، سنن أبي داود،كتاب السنة، باب: في لُزُوم السنة، الحديث رقم: (4604) (200/4). وينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: ظلم دون ظلم، الحديث رقم (32) وينظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: فضل الرمي، حديث رقم (3653).

[61] عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، من صغار الصحابة، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وهو الذي دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعاء المشهور: "اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل". توفي في الطائف سنة 68 هـ رضي الله عنه وأرضاه. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (3/331-359).

[62] ينظر: المصدر السابق. ص (40-44)، وينظر: سلامة، منهج الفرقان (9/2).

– النوع الرابع: تفسير التَّابِعِين للقرآن: قد ذكر الباحث فيما سبق، أن العلماء اختلفوا إن كان أقوالُ التَّابِعِينَ داخِلٌ في التفسير بالمأثور أَمْ هو مِنْ قَبِيْلِ التفسير بالرأي؟ ولعله كما قد اختار الباحث أنه مِنْ قَبِيْلِ التفسير بالمأثور؛ لِعَمَلِ أهل التفسير على ذلك، مِنْ بَيْنِهم ابن جَرِيرِ الطبري في تفسيره. وما نُقل عن شُعْبَة بن الحجاج أن أقوال التابعين في الفروع ليست بحجة، فكيف في التفسير؟! فلعله صحيح، ومعناه أنه ليس بحجة على مَنْ خالفه. بَيْد أَنَّهُمْ إذا اجْتَمَعُوا على شيئٍ فلا شَكَّ أَنَّهُ يُعْتَبرُ مِنَ الحُجَجِ القوية، وبهذا يمكن للباحث القَوْل: إِنَّ أَقْوَالَ التابعين فيما اتفقوا عليه يكون مِنْ ضِمْنِ أنواع التفسير بالمأثور والله أعلم[63].

المطلب الثاني: أنواع التفسير بالرأي:

جاء في مقدمة الراغب الأصفهاني[64] في تفسيره (37/1) عن التفسير بالرأي: "اختلف الناس في تفسير القرآن: هل يجوز لكل ذي علم الخوض فيه؟ فبعض يشدد في ذلك وقال: لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن، وَإِنْ كان عالماً أديبًا متسعًا في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار، وإنما له أن ينتهي إلى ما روى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة – رضي الله تعالى عنهم –، أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين". ثم قال: "وذكر آخرون أَنَّ مَنْ كان ذا أدب وسيع فموسع له أن يفسره...".

التحقيق في المسألة:

تبين للباحث من خلال مقولة الراغب الأصفهاني السابق أن هناك فريقٌ مَنْ يمنع التفسير بالرأي والاكتفاء بالنَّقْل، وفريق جَوَّزُوا التفسير بالرأي زيادةً على النَّقْل، ولِكُلٍّ مِنَ الفريقَين أَدِلَّتُهُم في ذلك.

---

[63] ينظر: المصدر نفسه. ص (44–46)، وينظر: الراغب الأصفهاني، مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني (37/1).

[64] هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، أصله من أصفهان وانتقل إلى بغداد. قيل إنه من علماء الشيعة، وقيل بل إنه كان معتزلا، وهو أديب وعالم. توفي سنة 502 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (120/18–121) وينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون (1/1).

- **أدلة المانعين من التفسير بالرأي:**

أولا: القَوْلُ في التفسير بالرأي هو قولٌ على الله بغير عِلْم، وَحَسْبُه مِنْ قَوْلِه بالرأي الظن، والظن لا يُغْني مِنَ الحق شيئًا. وقد نهى اللهُ سبحانه وتعالى عَنِ القول بغير عِلْم، قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف:33]، وقال تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...} [الإسراء:36].[65]

اعْتَرَضَ المُجِيزون على هذا الاستدلال بقولهم: إنَّ في الظن إدراكٌ لِطَرَفٍ راجح، وهو نوعٌ مِنْ أنواع العلم. والظن منهي عنه إذا صادم دليلٌ نقليٌ أو عقليٌ قاطعٌ. أما إذا خلا شيءٌ مِنْ ذلك فالظن كافٍ وَحْدَهُ لاعتماده على دليلٍ قطعيٍ وهو قوله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...} [البقرة:286]، ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ[66] حين بعثه إلى اليمن: ((كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ ؟ ، قَالَ : أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ؟ ، قَالَ : فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ؟ قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا آلُو، فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدْرَهُ، وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ[67])).

---

[65] ينظر: الزركشي، البرهان (161/2) وينظر: سلامة، منهج الفرقان (26/2).

[66] هو الصحابي الجليل معاذ بن جبل من الأنصار من بني أدّى من بني جشم بن الخزرج، أسلم وهو ابن 18 سنة، وشهد بيعة العقبة الثانية، ثم شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها، بعثه عاملاً له في اليمن بعد غزوة تبوك، توفي سنة 18 هـ بسبب طاعون عمواس. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (446/1-461).

[67] أخرجه أحمد وداود والترمذي. وضعفه جمع من أهل العلم لعلتين: جهالة الحارث بن عمرو وتفرّده به كما أشار بذلك البخاري. وانقطاع السّند بينه وبين معاذ بسبب إبهام الواسطة التي روى عنها وهي "عن الحارث بن عمرو عن أناس من أهل حمص من أصحاب معاذ بن جبل، والله أعلم. ينظر: الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الأحكام، باب: ما جاء في القاضي كيف يقضي، الحديث رقم: (1327) (616/3)، أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأقضية، باب: اجتهاد الرأي في القضاء، رقم الحديث (3592) (303/3). وينظر: المصادر السابقة.

Prince of Songkla University Pattani Campus

ثانيا: أن البيان في القرآن مُخْتَصٌ بالرسول صلى الله عليه وسلم، والدليل قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: 44] فَعَلِمَ أنه ليس لغيره شيءٌ مِنَ البيان لمعاني القرآن[68].

وأجاب المجيزون عن هذا الاستدلال: نَعَمْ ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مأمورًا بالبيان، لكنه صلى الله عليه وسلم انتقل من الدنيا ولم يُبَين كل ما في القرآن، فما بَينه صلى الله عليه وسلم فهو لِمَنْ بعده، وما لم يبينه فهو متاحٌ لِمَن بعده مِنْ أهل العلم، ولقوله تعالى في آخر الآية السابقة: (ولعلهم يتفكرون) مضمونها تحقق الانتباه إلى ما فيها مِنْ ذكر ومواعظ ولطائف العِبَر، ومِنْ إشارات وأسرار ودقائق الحُكْم وبلاغة الحِكَم[69].

ثالثا: ورود نَهْيٍ ووعيدٌ شديدٌ لِمَنْ قال في القرآن برأيه، فعن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّي إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ[70])).

وأجاب المجيزون عن هذا؛ أن الحديث محمولٌ على النهي مَنْ قال في القرآن برأيه في نَحْوِ مشكل القرآن ومتشابهه، مِنْ كل ما لا يعلم طريقه إلا عن طريق النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة رضوان الله عليهم. كما أن النهي محمولٌ في غير مشكل القرآن ومتشابهه بِمَنْ قال برأيه الموافق لغرضه وهواه مِنْ غير دليلٍ يَقومُ عليه. أما الذي يعضد رأيَهُ البرهانُ ويُقَويه الدليلُ، ويَسيرُ وِفْقَ اقتضاء فنٍ مِنْ فنون قواعد تفسير القرآن كَعِلْمِ اللغة والنحو والصرف والبلاغة، أو الفقه وأصوله، أو الحديث، أو أصول الدين، فالقول برأيه جائزٌ مبنيٌ على اجتهادٍ استند على قوانين ونظر، وليس قائمًا على الرأي المجرد عن العلم وقواعد الاستدلال والنظر، والموافق لرأيٍ وهوىً والله أعلم[71].

---

[68] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (170/1).

[69] ينظر: الآلوسي، روح المعاني (149/14) الذهبي، التفسير والمفسرون (170/1).

[70] رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن. ينظر: الترمذي، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، رقم الحديث (9512) (183/5) وينظر: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير. ص (46) سلامة، منهج الفرقان (27/2).

[71] ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (41/1)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (32/1).

رابعا: تَعْظيمُ الصحابة والتابعين تفسير القرآن، وتحرجهم عن القول بالرأي في التفسير؛ لِأَن القول في التفسير شهادة على الله على مراده مِنَ الآية. فَمِنْ ذلك: سُئِلَ أبو بكر الصديق رضي الله عنه في تفسير حرف مِنَ القرآن فقال: "أَيُّ أَرْضٍ تقلُّني وأي سماءٍ تظلُّني إذا قلت في كتاب الله ما لَمْ أعلم[72]". وقال الشعبي: "ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت: القرآن .....[73]".

وأجاب المجيزون: بأن هذا الإحجامَ إنما عَنْ احتياطٍ وورعٍ، مخافةً لأنفسهم أن لا يجانبوا وجه الصواب فيما لم يعرفوا فيه، أو أنهم خافوا على أنفسهم أن يكونوا أئمة فيمَنْ يفسر القرآن برأيه، يُبْنَى على رأيهم ويقتفى طريقهم، فجاء مَنْ بعدهم ويخطئ ويقول: إمامي في التفسير بالرأي فلانٌ مِنَ السلف. وأما إذا عرفوا الصواب فإنهم لا يتحرجون عن إبداء رأيهم ولو كان ظنًا، فهذا سيدنا أبو بكر رضي الله عنه قال في الكلالة رأيًا؛ فإن كان صوابًا فَمِنَ الله، وإنْ كان خطأً فَمِنْه ومِنَ الشيطان والله منه بريء[74].

-أدلة المجوزين للقول في التفسير بالرأي:

أولا: استدلوا على نصوصِ آياتٍ كثيرةٍ مِنَ القرآن الكريم، منها: قوله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: 24]، وقوله تعالى: {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: 29]، ومنه قوله تعالى: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ...} [النساء: 83]، ووجه الاستدلال في الآيات السابقة: الأمرُ مِنَ الجليلِ سبحانه وتعالى بالاتعاظ والتدبر في الآيات الحكيم، وَأن في القرآن ما يمكن للعلماء استنباط منه الأحكام مِنْ خلال اجتهادهم وإعمال عقولهم، فلا يُعقل أن يكون تفسير ما لم يستأثر الله لنفسه محرمًا على العلماء، كيف وأنه طريق العلم، وسبيل المعرفة والعلم والعظة؟ ولو كان ذلك لَلَزِمَ القولُ بتدبر الآيات والاتعاظ بما لا يُفهم وَلَغَابَ الكثيرُ مِنَ الفَهْمِ لِكِتَاب الله سبحانه وتعالى[75].

---

[72] رواه إبراهيم التيمي، والحديث منقطع. ينظر: ابن حجر، الكافي الشاف. ص (311).

[73] ينظر: الطبري، جامع البيان (86/1) ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير. ص (46-50).

[74] ينظر: المصادر نفسها (475/4) ، ص (50) وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (34/1),

[75] ينظر: المصدر نفسه (32/1) ، ابن عطية، المحرر الوجيز (41/1).

Prince of Songkla University Pattani Campus

ثانيا: لو قيل: إن التفسير بالرأي غيرُ جائزٍ لَلَزِمَ القولُ بعدم جواز الاجتهاد، ولتعطلت الكثير مِنْ مصالح الناس، وهذا معلوم خطأ هذا القول، وأن باب الاجتهاد مفتوحٌ حتى أن تقوم الساعة، كما أن للمجتهد المصيب أجران، وللمخطئ أجرٌ واحدٌ، والنبي صلى الله عليه وسلم مات ولم يفسر كل ما في القرآن، ولم يستخرج لنا جميع ما فيه مِنْ أحكام[76].

ثالثا: وقوع الاختلاف فيما بين الصحابة في التفسير على عدة وجوه، وليس كلُ أقوالِ الصحابة مأخوذ مِنَ النبي صلى الله عليه وسلم، بل بعضها مِنْ فَهْمِ الصحابة توصلوا إليه بمعرفتهم بعقولهم واجتهادهم، ولو كان القول بالرأي غيرَ جائزٍ لتحتم القول بوقوع الصحابة في المحظور والمخالفة لأمر الله سبحانه، ونحن نُعيذ الصحابة من ذلك[77].

رابعا: قالوا: لو كان القول في التفسير بالرأي غيرَ جائزٍ، لَمَا كان في دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن العباس: ((اللهمَّ فقِّههُ في الدِّين))[78] أيَ فائدةٍ ومزيةٍ، فدل على التخصيص له بالدعاء أمرٌ آخرٌ وراءَ النقل والسماع، وهو الرأي والاجتهاد، وهذا بَيِّنٌ لا إشكالَ فيه[79].

حقيقة الخلاف بين الفريقين:

في ضوء ما سبق، ظَهَرَ للباحث: أن الخلاف بين الفريقين خِلَافٌ لفظيٌ، فالسر وراء أقوال المانعين هو وَضْعُ سُورٍ حَوْلَ القرآن الكريم، وألا يتم التلاعب به مِنْ قِبَلِ أناسٍ لا هَمَّ لَهُمْ إلا اتباع الشهوات والانقياد للرغائب والنفس والهوى. أما مَنْ توافر في نفسه العلم وتملك أدوات الاستنباط والاجتهاد، مع تقوى الله تعالى في السر والعلن، فلا ينبغي الجمود والاكتفاء على النقل والسمع والله أعلم. قال الراغب الأصفهاني: "إنَّ كلا المذهبين فيهما الغلو والتقصير، فَمَنِ اقتصر على المنقول إليه فقد

---

[76] ينظر: سلامة، منهج الفرقان (29/2) الذهبي، التفسير والمفسرون (173/1).

[77] ينظر: المصادر نفسها.

[78] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب: وضع الماء عند الخلاء. (41/1).

[79] ينظر: المصادر السابقة. وينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (41/1).

ترك كثيراً مما يحتاج إليه، ومن أجاز لكل أحد الخوض فيه، فقد عرضه للتخليط، ولم يعتبر حقيقة قوله تعالى: (لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ)[80]".

ومما سبق فإن للتفسير بالرأي نوعان:

النوع الأول: محمود: وهو القسم الذي يجري فيه على عادة كلام العرب ومناحيهم في القول، شريطة الموافقة للكتاب والسنة، ومراعاة لضوابط التفسير بالرأي كما سيأتي – في مبحث ضوابط التفسير بالرأي – وهو الذي يمكن القول فيه بالجواز، وعليه يُحمل كلامُ المجيزين للتفسير بالرأي. قال ابن تيمية[81] في مقدمة أصول التفسير، ص (50): "فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولةٌ على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا عِلْمَ لَهُمْ به، فأما مَنْ تكلم بما يَعْلَم مِنْ ذلك لغةً وشرعًا فلا حرج عليه....".

النوع الثاني: مذموم: وهو القسم الذي خرج على عادة كلام العرب، وخرج عَنْ موافقة الشرع مِنَ الكتاب والسنة، ولم يتوافر لقائله شروط التفسير بالرأي، وهو الذي يقصد فيه بالنهي وهو محط الذم. قال ابن مسعود[82]: "سَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَدْعُونَكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، فَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ...."[83][84].

---

[80] ينظر: الراغب الأصفهاني، مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني (37/1).

[81] هو: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني المشهور بابن تيمية، ولد سنة 661 هـ، في مدينة حران ثم انتقل إلى دمشق، عالم مجتهد . توفي في ذي القعدة سنة 728 هـ. ينظر: شمس الدين أبو عبد الله المقدسي الحنبلي، طبقات علماء الحديث (280/4).

[82] هو: الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، أحد السابقين الأولين إلى الإسلام. قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: " من سرَّه أن يقرأ القرآن غضًّا كما أُنزل، فليقرأه بقراءة ابن أم عبد، توفي سنة 32 هـ رضي الله عنه وأرضاه. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (467/1-500).

[83] أخرجه ابن عبد البر في كتاب جامع بيان العلم وفضله، باب من تأول في القرآن وتدبره، رقم الحديث (1423).

[84] مصادر البحث في أنواع التفسير بالرأي: الطبري، مقدمة جامع البيان (80/1-84) ، الراغب الأصفهاني، مقدمة تفسير الراغب الأصفهاني (37/1-40) ، الزركشي، البرهان (161/2-162) ، سلامة، منهج الفرقان (32/2-35) ، الذهبي، التفسير والمفسرون (188/1 وما بعدها).

Prince of Songkla University Pattani Campus

وبعد، فقد اتضح للباحث مِنْ هذا المبحث والمقارنة بين أنواع التفسير بالمأثور وبين أنواع التفسير بالرأي؛ وأن التفسير بالمأثور أنواعه لا يعدو الخروج عن أربعة أنواعٍ اعتمادًا على تعريفه، وأنه يستند في الأساس على النقل، فالتفسير بالمأثور يكون إما بالقرآن أو بالسنة أو بقول صحابيٍ أو بقول تابعيٍ فيما اتفقوا عليه ولم يكن للاجتهاد له محل.

أما التفسير بالرأي فهو نوعان؛ تفسير محمود وهو ما توافر فيه الشروط والمعايير الذي سيأتي ذكرهما لاحقا، وتفسير مذموم وهو ما خرج عن الضوابط والمعايير، أو فقد شرط من شروط التفسير بالرأي كما سيذكره الباحث في موضعه. كما لا ينسى الباحث أن ينبه إلى أن التفسير المحمود له أنواع حسب الاتجاه والميول[85].

المبحث الرابع: المقارنة في ضوابط كل منهما:

يُستحسن على الباحث أن يذكر معنى الضوابط لغةً واصطلاحًا أولًا قبل أن يشرع في ذكر الضوابط لكل مِنَ التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.

- **تعريف الضوابط لغةً:** جمع ضابط، مِنْ ضبَطَ والضَبْط: لزوم الشيء وحبسه، والضبْط الحفظ بالحزم، ورجل ضابط أي حازم، قوي شديد البطش، ورجل أضبط: يعمل بيديه جميعًا[86].

- **أما الضوابط اصطلاحا:** "فهو الأمرُ الكليُ المنطبقُ على جميع جزئياته[87]".

المطلب الأول: ضوابط التفسير بالمأثور:

قد بين الباحث فيما مضى تعريف التفسير بالمأثور وأنواعه، وهو تفسير يعتمد على النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمى بالحديث المرفوع، أو النقل عن صحابي ويسمى بالحديث الموقوف، أو النقل عن التابعي ويسمى بالحديث المقطوع. فالتفسير بالمأثور شأنه شأن علم الحديث،

---

[85] سيذكر الباحث أنواع التفسير بالرأي الجائز (المحمود) في مبحث ضوابط التفسير بالرأي إن شاء الله.

[86] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: ض ب ط (340/7) الرازي، مختار الصحاح، مادة: ضبط (158/1).

[87] ينظر: الفيومي، المصباح المنير (510/2) أمير بادشاه، تيسير التحرير (15/1).

فيشترط له ما يشترط للأحاديث مِنْ صحة المتن وعدالة الرواة واتصال السند وأَنْ لا يطرأ إليه خللٌ أو علةٌ يطعن في صحة النقل كما هو مذكور في كتب علوم الحديث.

ويجدر على الباحث أَنْ يتوسع قليلًا في ذكر مراحل تطور التفسير بالمأثور والأسباب التي أدت إلى ضعفه، فيقول وعلى الله توكله:

مر التفسير بالمأثور على مرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى: مرحلة الرواية والتلقي والمشافهة:

إذ كان يتلقى التلاميذ العلم ما يُمْلي عليهم شيوخهم مِنْ صدورهم. وهذه المرحلة التي كانت عليها حياة الأمة الإسلامية الأولى، إذْ كان علم التفسير ناشئًا في أحضان علم الحديث حيث لم يكن ثمة علم يومئذ غير علم الحديث. وقد سبق ذكر سبب عدم وجود تدوين للعلوم غير القرآن، وذلك بسبب تحرج الصحابة عَنْ أَنْ يكتبوا شيئًا غير القرآن للحديث الوارد في ذلك: ((لا تَكْتُبُوا عَنِّي وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ وَحَدِّثُوا عَنِّي وَلا حَرَجَ...[88])) هذا وإِنْ وُجِدَ بعضُ التدوين فقد وُجِدَ في حدود ضيق، وعلى وجهٍ خاص، كالمعاهدات، والكتب إلى الملوك، أو الإذن لكاتب معين معروف بالتنسيق وحسن الترتيب وجودة الخط كعبد الله بن عمرو بن العاص[89]. وهكذا ظل الامتناع عن الكتابة طبع الورعين الوجلين من الوقوع فى محظور النهي عن الكتابة واكتفى حملة العلم بنقله مشافهة مِنَ الصدور إلى الصدور حتى زمن الخليفة الأموى الراشد عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- (99 هـ- 101 هـ)[90].

---

[88] سبق تخريجه.

[89] هو: عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي صحابي ولد سنة 616 م. هاجر إلى المدينة سنة 7 هـ، كان أحد الصحابة الذين سمح لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالكتابة، تعلم القرءان، ولزم الرسول صلى الله عليه وسلم وجمع علما غزيرا، توفي رضي الله عنه 63 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (3/70-93).

[90] ينظر: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير. ص (10-11) القرطبي، مقدمة الجامع لأحكام القرآن (2/1) الزركشي، البرهان (2/158-159) الذهبي، التفسير والمفسرون (1/103-105).

والسبب الذي جعل مِنْ عُمَر بن عبد العزيز يأمر بتدوين العلوم، هو أنه خشي على الأمة ضياع العلم بموت الصحابة وكبار التابعين، كما بدأ تظهر بوادر الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم نتيجة لاتساع رقعة الاسلام، واعتناق الأعاجم، ودخول بعض رؤساء الأديان فى الإسلام دَغْلًا وحِقْدًا لا إيمانًا وتصديقًا، وجعلوا مِنْ أحقادهم معاول هدم لصروح الإسلام[91].

المرحلة الثانية: وهي مرحلة التدوين والكتابة:

وهذه المرحلة بدأت منذ أن أصدر عمر بن عبد العزيز أوامره بالتدوين في أول القرن الثانى الهجري وظلت ممتدة إلى عصرنا الحاضر. وهي مرحلةٌ عظيمةٌ تميزت بظاهرتين هامتين:

الأولى: استقرار التفسير بالمأثور في بطون المدونات التفسيرية، مما حفظ لنا هذا التفسير بأسانيده، وطرقه، ومروياته، ورواته في هذه المدونات العظيمة فبقيت إلى يومنا هذا حتى أَنْ يرث الله الأرض ومَنْ عليها بحوله وقوته[92].

الثانية: إمكان ضبط أي دخيل على هذا اللون مِنْ ألوان التفسير بمجرد قراءة **المروية التفسيرية** والنظر في رجالها، ونصّها، وذلك بالرجوع إلى السجلات الضابطة لتواريخ الرجال ومعرفة أحوالهم مِنْ صحة الرواية جرحًا أو تعديلًا. وسيأتي ذكر أهم المدونات التفسيرية التى سجلت لنا المرويات التفسيرية عن الأجيال الثلاثة المباركة في – مبحث ذكر أهم كتب التفسير بالمأثور وأهم كتب التفسير بالرأي– إن شاء الله تعالى[93].

كما أنه مِنَ الجدير بالذكر؛ أن التفسير بالمأثور في مرحلة التدوين والكتابة مرت بمراحل:

المرحلة الأولى: دور التبعية لعلم الحديث: حيث بدأ التدوين لعلم الحديث، إذْ سبق القول: إنه حتى مع بداية العصر العباسى لم يكن ثمة علم يومئذ غير علم الحديث، حتى أَنَّ لفظ (العلم) في هذه الفترة

---

[91] ينظر: المطيري، تاريخ تدوين السنة وشبهات المستشرقين. ص (50-53).

[92] ينظر: المصدر السابق (1/104-105).

[93] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (1/104-105).

Prince of Songkla University Pattani Campus

التاريخية لم يكن يعرف إلا بعلم الحديث. فبدأ جمع الحديث مِنْ صدور الحفظة إلى سطور الكراريس. ولما انتهت مرحلة الجمع مِشنَ الصدور إلى السطور وفيها أحاديث ذات موضوعات شتى، فمنها أحاديث تتعلق بالأحكام مِنْ طهارةٍ، وصلاةٍ، وآذان، وحجٍ، وزكاةٍ، وصومٍ، وبيعٍ، وسلمٍ، وصرفٍ، ومزارعةٍ، ومصانعةٍ، وزواجٍ، وطلاقٍ.

ومنها ما يتعلق بالتفسير وبيان مراد الله تعالى من كلامه المنزل على رسوله الكريم كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ وغيرها. وهكذا جُمعت الدواوين ما حفظته الصدور[94].

فلما عَرَفَ الناسُ التدوين عرفوا التبويب والتهذيب. فبدؤوا يُضَمّنُون الأحاديث ذوات الموضوع الواحد تحت باب واحد، والأبواب المتشابهة في علمٍ واحدٍ تحت كتابٍ واحدٍ، فهذا كتاب في الطهارة يحتوي على أبوابها، وهذا كتاب في التفسير يحتوي على سور القرآن وما قيل في كل سورةٍ مِنْ مأثور القول. وفي هذه المرحلة انجمع علم التفسير في بابٍ مستقلٍ داخل كتب الحديث ومصنفاته، وأشهر مَنْ أفرد أبواب التفسير في كتب المرويات الحديثة هم: يزيد[95] بن هارون السلمي ت 117هـ، شعبة بن الحجاج ت 160 هـ، وكيع بن الجراح ت 197 هـ[96].

المرحلة الثانية: دور الاستقلال عن علم الحديث:

وفى هذه المرحلة استقلت الأحاديث المنجمعة في كتب الحديث تحت عنوان (باب في التفسير) أو تحت عنوان (كتاب التفسير)، وصارت في كتبٍ مستقلةٍ، ومصنفاتٍ خاصة عرفت ب(التفسير بالمأثور)[97].

---

[94] المرجع نفسه.

[95] هو: يزيد بن هارون بن زاذان، أبو خالد الواسطي. شيخ الإسلام، الحافظ، محدث من تابعي التابعين. ولد سنة 118 هـ، قال عنه علي المديني: "هو من الثقات، وما رأيت أحفظ منه". توفي سنة 206 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (9/360-372).

[96] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (1/105).

[97] المرجع نفسه.

Prince of Songkla University Pattani Campus

واستمر هذا الدور مِنَ الثلث الأخير للقرن الثالث الهجرى إلى العقد الأول مِنَ القرن الرابع الهجري، وأشهر مَنْ جَمَعَ تفاسير مستقلة في مصنفات في هذا الدور هم: ابن ماجه[98] ت 273 هـ، وابن جرير[99] الطبري ت 310 هـ، أبو بكر[100] النيسابوري ت 318 هـ[101].

المرحلة الثالثة: دور حذف الأسانيد، أو اختصاره:

في هذا الدور خلا التفسير بالمأثور مِنْ ذِكْرِ السند، وبقيت المتون دون عزو لقائل، وأصبح الإسناد موقوفا على أعلى راوٍ في السند دون ذكر بقية الرواة. وقد أدى هذا الدور إلى ظهور الوَضْعِ في التفسير، وظن ما ليس بصحيحٍ صحيحًا، ولم يقتصر اللبس عند هذا الحد فقط، وإنما زاد الأمر خطورة، إذ جُعلت المرويات الإسرائيلية وكأنها حقائق ثابتة مقطوع بها. وهذا ما سيأتي عليه الباحث، وهو الأسباب التي أدت إلى ضعف التفسير بالمأثور[102].

أسباب ضعف الرواية بالمأثور:

بما أن التفسير بالمأثور عبارةٌ عن مرويات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته عليهم الرضوان، والتابعين، فشأنه إذن تماما كشأن الحديث، منه الصحيح[103]، ومنه الحسن[104]، ومنه الضعيف[105]، وفيه مَنْ رُوَاتُه مَنْ هو موثوق، ومنهم مَنْ هو مشكوك فيه، ومنهم مَنْ عُرف بالوضع،[106]

---

[98] هو: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة الربعي القزويني هو إمام في علم الحديث، ولد سنة 209 هـ ، سمع من شيوخ البلاد مثل محمد بن المثنى بن دينار العنزي الملقب بالزمن وأبي بكر بن أبي شيبة وغيرهم. توفي في رمضان سنة 273 هـ. ينظر: المصدر السابق (280/13).

[99] سيأتي ترجمته.

[100] هو: الحافظ ابن المنذر أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر بن الجارود النيسابوري، ولد سنة 241 هـ في نيسابور، رحل إلى مصر طلبا للحديث والفقه، والتقى بالربيع بن سليمان تلميذ الإمام الشافعي وتتلمذ عليه. توفي بمكة سنة 318 هـ. ينظر: المصدر السابق (490/14-492).

[101] ينظر: المرجع السابق.

[102] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (107/1).

[103] الحديث الصحيح: هو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله من ابتداء السند إلى منتهاه من غير شذوذ أو علة. ينظر: سراج الدين البلقيني، مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح. ص (151).

[104] الحديث الحسن: هو ما اتصل إسناده ورواه عدل خفيف الضبط عن مثله من غير شذوذ ولا علة. المرجع نفسه.

[105] الحديث الضعيف هو ما قل عن درجة الحسن. ينظر: البيقوني، المنظومة البيقونية. ص (8).

Prince of Songkla University Pattani Campus

فمثل ذلك وُجد في مرويات التفسير. وهنا سيتطرق الباحث إلى ذكر الأسباب التي أوهنت بالرواية بالمأثور، ومِنْ خلال البحث تبين للباحث أن أسباب الضعف في التفسير بالمأثور يمكن أن يَكْمُنَ في الأسباب الآتية:

1- الوَضْع في التفسير.

2- تسلل الإسرائيليات إلى التفسير.

3- حذف الأسانيد واختصاره.

وليتناول الباحث هذه الأسباب الثلاثة بزيادة إيضاح وشيء من البيان والتفصيل:

أولا: الوضع في التفسير:

ولعل الوَضْعُ في التفسير ظَهَرَ سَنَةَ 41 للهجرة النبوية للأسباب الآتية:

1-ظهور المذاهب الدينية السياسية والتعصب لها، حيث أصبح الشيعة يكثرون مِنَ المرويات التي لا أَصْلَ لها، وينسبونها إلى سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ولكونه مِنْ بيت النبوة. وأما المتزلفون إلى الخلفاء العباسيين، فقد كانوا يتقربون إليهم بمرويات ينسبونها إلى جدهم ابن عباس رضي الله عنهما وهو منه بريء[107].

2- إن نسبة الرواية إلى أحد الصحابة توجب الثقة والقبول وتبعث إلى النفس الشعور بالاطمئنان مما لا يحصل لو نسبت إلى غيرهم، وخاصة إذا كانت منسوبة لِلْحَبْرَيْن الكبيرين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما[108].

---

[106] أي الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمى بالحديث الموضوع. ينظر: الطحان، تيسير مصطلح علم الحديث. ص (111).

[107] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (1/115-116).

[108] المرجع نفسه.

ثانيا: الإسرائيليات في التفسير:

وتعني الإسرائيليات: "المرويات عن مسلمي أهل الكتاب"، فقد جاء في الحديث في شأن الإسرائيليات ما نصه: ((وَحَدِّثُوا عن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ...))[109] والمعنى: أنه صلى الله عليه وسلم أجاز لنا الرواية عن مسلمي أهل الكتاب فيما لا يُعلم كذبه، وإن لم يكن هناك ثمة أسانيد متصلة لتعذر ذلك، وللفترة بين زماني النبوة، والفائدة منها للاتعاظ وأخذ العبرة. أما ما يعُلم كذبه فلا يجوز؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الكذب في الحديث[110]. وما ورد نَهْيٌ في النظر إلى كتب بني إسرائيل فالنهي إما وارد في النظر إلى أحكامهم؛ لأن شرعتهم منسوخة، أو هو نَهْيٌ فيما عُلم كذبه كما ذُكر، أو أن النهي كان في صدر الإسلام قبل استقرار الأحكام الدينية والقواعد الإسلامية، فلما استقرت أُذِنَ لِأَمْنِ المحذور[111].

أما كون الإسرائيليات لها سببٌ في ضعف في التفسير بالمأثور فقد ذكر ذلك ابن خلدون[112] في مقدمته ص (279)، ولماذا أكثر المفسرون مِنَ الروايات الإسرائيلية، فقال: "وقد جمع المتقدمون في ذلك يعني التفسير النقلي وأوعوا، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين، والمقبول والمردود؛ والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنها أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من (حِمْيَر)، الذين أخذوا بدين اليهودية، فلمّا أسلموا بقوا على ما

---

[109] أخرجه البخاري. ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما جاء في ذكر بني إسرائيل، رقم الحديث (3274) (275/3).

[110] ينظر: ابن حجر، فتح الباري (499/6).

[111] المرجع نفسه. (498/6).

[112] هو: عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، ولد سنة 732 هـ في تونس وشب بها وتخرّج من جامعة الزيتونة، كانت مصنفاته من أهم المصادر للفكر العالمي وهو المسمى بتاريخ ابن خلدون. توفي سنة 808 هـ. ينظر: الزركلي، الأعلام (330/3).

Prince of Songkla University Pattani Campus

كان عندهم مما لا تعلّق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة ، وما يرجع إلى الحدثان والملاحم، وأمثال ذلك ، وهؤلاء مثل: (كعب الأحبار، ووهب ابن منبه، وعبد الله بن سلام) فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم، وفي أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم، وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى فيها الصحة التي يجب بها العمل، وتساهل المفسرون في مثل ذلك ، وملؤوا الكتب بهذه المنقولات ، وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بَعُدَ صيتهم، وعظمت أقدارهم ، لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة ، فتُلقيت بالقبول من يومئذ".

ثالثا: اختصار الأسانيد وحذفه:

وظهر هذا العمل إبان عصر التدوين، وهذا الأمر لعله يعتبر مِنْ أهم أسباب الضعف تأثيرًا على التفسير بالمأثور؛ لأنه مؤدي إلى الخلط بين الصحيح بالعليل، وأصبح كل مَنْ سَنَحَ له قولٌ يورده، ومَنْ يطرأ على باله شيءٌ يعتمده، فيأتي مَنْ بعده ينقل عنه ظانًا أن له أصلًا غير منتبهٍ إلى تحرير ما يورده عن السلف الصالح ومَنْ يرجع إليهم في التفسير[113].

تلكم كانت الأسباب الثلاثة في ضعف الرواية في التفسير بالمأثور، لكن بقي على الباحث أن يذكر قيمة التفسير بالمأثور بعد أَثَرِ الوضع عليه، فيقول وعلى الله معتمده:

قيمة التفسير بالمأثور:

جاء في المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن ص (78-82) لمؤلفه جولد زيهر[114] ما نصه: "وإنما لمما يلفت النظر في هذا المحيط، هذه الظاهرة الغريبة، وهي أن التعاليم المنسوبة إلى ابن عباس تحمل طابع التصديق بشكل متساو ، وهي في نفسها تظهر في تضاد شديد بينها وبين بعضها، مما لا يقبل التوسط أو التوفيق".

---

[113] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (1/135-136).

[114] إجناتس جولدتسيهر، مستشرق يهودي مجري عُرف بنقده للإسلام وبجدية كتاباته، وهو أبرز من قام بمحاولة واسعة وشاملة لنسف السيرة النبوية، توفي سنة 1917 م. ينظر: بخيت، الإسلام في مواجهة الغزو الفكري الإستشراقي والتبشيري. ص (102-103).

Prince of Songkla University Pattani Campus

ثم يسوق بعد ذلك مثالاً لهذا التضاد، فيذكر ما قام حول تعيين الذبيح من خلاف أسنده مثيروه إلى أقوال مأثورة عن السلَفَ، ويذكر فى ضمن كلامه: "أن كل فريق يعتمد فى رأيه على إسناد متصل بابن عباس يدعم به رأيه .....".

ثم يقول بعد كلام ساقه في هذا الموضوع: "ويمكن أن يُرى من ذلك إلى أى حد يكون مقدار صحة الرأي المستند إلى ابن عباس، وإلى أى حد يمكن الاعتراف به. وما نعتبره بالنسبة له وللآراء المأثورة عنه، يمكن أن يُعتبر إلى أقصى حد بالنسبة للتفسير المأثور، فالأقوال المتناقضة يمكن أن ترجع دائماً إلى قائل واحد، معتمدة فى الوقت نفسه على أسانيد مرضية موثوق بها ...".

ثم يقول بعد كلام ساقه عن الإسناد وما قع فيه مِنَ اللعب والخداع: "ومن الملاحظات التى أبديناها، يمكن أن نخلص بهذه النتيجة: وهى أنه لا يوجد بالنسبة لتفسير مأثور للقرآن ما نستطيع أن نسميه وحدة تامة أو كياناً قائماً، فإنه قد تُروى عن الصحابة فى تفسير الموضوع الواحد آراء متخالفة وفي أغلب الأحيان يناقض بعضها بعضاً من جهة، ومن جهة أخرى فقد تُنسب للصحابي الواحد فى معنى الكلمة الواحدة أو الجملة كلها آراء مختلفة، وبناء على ذلك، يُعتبر التفسير الذي يخالف بعضه بعضاً، والمناقض بعضه بعضاً، مساوياً للتفسير بالعلم".

والسؤال هنا: هل صحيح ما ذكره الأستاذ جولد زيهر مِنْ وجود تناقض في المرويات، كما أورده في شأن قصة الذبيح، وأن الروايتين إحداها تحدد أنه نبي الله إسماعيل، والرواية الأخرى تذكر أنه نبي الله إسحاق، وكلا الروايتين مِنْ راوٍ واحدٍ وهو ابن عباس رضي الله عنهما، وأن التفسير بالمأثور– بالوَضْعِ– مساوي للتفسير بالعلم؟

مِنْ خلال تحليل كلام الأستاذ جولد زيهر يتبين أنه لا يعدو أن يكون أكثر مِنْ محاولةٍ فاشلةٍ تريد النيل مِنْ هذا الكتاب الكريم، ومحاولة التنقيص مِنْ قيمة التفسير بالمأثور، والتقليل مِنَ الثروة الضخمة التي خلفها علماؤنا السلف رضوان الله عليهم.

فما أورده جولد زيهر مِنْ وجود مشكلات في التفسير بالمأثور فيمكن حله كما يأتي:

- **ما كان شأنه اختلاف في التفسير بين السلف:**

فذلك سهلٌ وميسورٌ حله؛ ذاك أن العلماء قالوا: إن معظم الاختلاف بين المفسرين هو اختلاف عبارةٍ وتنوعٍ، لا اختلاف تناقضٍ وتضادٍ، فما أمكن جمعه جُمع بين الأقوال، وما كان متعذرًا جمعه، المتأخرُ مِنَ القولين عن الشخص الواحد مقدَّم إن استويا في الصحة عنه، وإلا فالصحيح المقدَّم[115].

أما إذا تعارضت أقوال جماعة من الصحابة وتعذَّر الجمع أو الترجيح، فيُقدَّم ابن عباس على غيره؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم بشَّره بذلك حيث قال: ((اللَّهم علِّمه التأويل[116]))، وقد رجح الشافعي[117] قول زيد[118] في الفرائض لحديث: ((أفرضكم زيد[119])).

- **أما الإشكال الذي أورده في اختلاف الرواية عن ابن عباس في تحديد هوية الذبيح:**

فعند رجوع الباحث إلى تفسير الطبري[120] وجد أن هناك روايتين مختلفتين عن ابن عباس وقد ساق كل رواية منها بأسانيد تتصل إلى ابن عباس، بعضها يرفعه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعضها موقوف عليه.

والجواب على هذا الإشكال: أن ابن جرير الطبري رحمه الله لم يلتزم الصحة في كل ما يرويه، ولو أننا عرضنا هاتين الروايتين على قواعد المحدِثين في نقد الرواية والترجيح، لتبين لنا بكل وضوح وجلاء، أن الرواية القائلة بأن الذبيح هو إسماعيل، أصح مِنْ غيرها وأرجح مما يخالفها، لأنها مؤيَّدةٌ بأدلة كثيرة يطول ذكرها، وأيضًا فإن الرواية التي يذكرها ابن جرير عن ابن عباس مرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه

---

[115] ينظر: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير. ص (11) السيوطي، الإتقان (4/208-209).

[116] ينظر: المصدر نفسه. (4/221).

[117] هو: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعيّ المطَّلبيّ القرشيّ، صاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي، ومؤسس علم أصول الفقه. ولد سنة 150 هـ وتوفي سنة 204 هـ رحمه الله تعالى. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (14/10-99).

[118] هو: الصحابي الجليل زيد بن ثابت بن الضّحاك بن زيد الخزرجي، أمره النبي صلى الله عليه وسلم بتعلم العبرية، وهو الذي جمع القرآن الكريم في مصحف واحد بأمر من الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. توفي رضي الله عنه سنة 45 هـ. ينظر: المرجع نفسه. (2/439-442).

[119] أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ينظر: الترمذي، سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب: ما جاء في مناقب معاذ بن جبل، رقم الحديث (3790) (5/623).

[120] ينظر: الطبري، جامع البيان (19/587-605).

Prince of Songkla University Pattani Campus

وسلم ومقيدة أن الذبيح هو إسحاق، في سندها الحسن[121] بن دينار عن عليّ[122] بن زيد، والحسن بن دينار متروك، وعليّ بن زيد منكر الحديث، كما ذكره الحافظ ابن كثير[123] في تفسيره[124].

أما باقي الروايات الموقوفة على ابن عباس، والتي تفيد أن الذبيح هو إسحاق، فهي – وإن كانت صحيحة الأسانيد – محمولةٌ على أن ما تضمنته مِنْ أن الذبيح هو إسحاق، كان رأى ابن عباس في أول الأمر، لأنه سمع ذلك مِنْ بعض الصحابة الذين كانوا يحدِّثون في مثل هذا بما سمعوه مِنْ كعب[125] وغيره مِنْ مسلمي اليهود، ثم علم بعد: أن ذلك قول اليهود فرجع عنه وصرَّح بنقيضه، كما قال ابن جرير: "حدَّثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمر بن قيس، عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عباس أنه قال: المفدَّى إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود[126]"، وهذا الأثر صحيح عن ابن عباس، إسناده على شرط الصحيح، وهو كما ترى صريحٌ في تكذيب اليهود فيما زعموه، وهو يقضي على كل أثر بخلافه، وبهذا الطريق تنتظم الآثار الواردة عن ابن عباس في هذا الباب كما أشار بذلك ابن كثير في تفسيره[127].

– **أما عن الإشكال الثالث:**

وهو جعله التفسير بالمأثور–بالوضع– مساويًا للتفسير بالعلم، وعدم وجود وحدةٍ تامةٍ أو كيانٍ قائم، فدعواه مردودٌ ليس له شيءٌ مِنَ الصحة؛ ذلك أن المأثور الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم له مكانته وقيمته، ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يوحى﴾ [النجم: 4]. وأما ما صح عن الصحابة فغالبه مما تَلَقَوْه عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وقليل منه قالوه عن نظر منهم واجتهاد وحتى هذا القليل – عند مَنْ لا

---

[121] هو: الحسن بن دينار هو الحسن بن واصل كان ربيب دينار وهو مولى بني سليط، قال الفلاس: أجمع أهل العلم بالحديث أنه لا يروى عن الحسن بن دينار. ينظر: ابن حجر ، لسان الميزان (2/203–205).

[122] هو: علي بن زيد بن جدعان وكنيته أبو الحسن القرشي، من بني تيم، مكي الأصل، وُلد مكفوفًا، وكان من الفقهاء الذين يُؤخذ عنهم العلم في البصرة، تركه أهل الحديث لسوء حفظه. مات سنة 131 هـ، في الطاعون. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (5/206–208).

[123] سيأتي ترجمته.

[124] ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (7/7–31).

[125] هو: كعب بن ماتع الحِميَري ويكنى بأبي إسحق كان عالماً بالإسرائيليات وتفسير آيات القرآن كان كاتباً ويسمى بالـ"حبر" وهو من أشهر اليهود الذين أسلموا.توفي سنة 32 هـ. ينظر: المصدر السابق. (3/489–494).

[126] ينظر: الطبري، جامع البيان (21/83).

[127] ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. (7/28–31).

Prince of Songkla University Pattani Campus

يرى أن له حكم المرفوع – له أيضاً قيمته ومكانته، ولا يجوز العدول عنه إذا صح إلى غيره، لأنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه مِنَ القرائن والأحوال التي اختُصوا بها، وَلِمَا لَهُم مِنَ الفَهْمِ التام والعلم الصحيح[128].

وخلاصة القول: إن التفسير بالمأثور له قيمته العلمية، بِغَض النظر إلى قيمته الإسنادية؛ ذلك أن المفسر بالمأثور غير ما ينقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن صحابته أو عن التابعين لا بد له مِنْ فِكْرٍ يراه ورأيٍ يعتمد عليه، وله اجتهادٌ أتعب فيه نفسه وأعمل فيه عقله في تبيين معنى الآية. وَإِنْ أشرك فهمه واجتهاده بنقل عن ابن عباس أو عن غيره؛ فإن ذلك لم يفقد شيئاً مِنْ قيمته العلمية غالباً، وإنما الشيءُ الذي لا قيمة له فيه هو نسبته إلى عليّ أو ابن عباس[129].

المطلب الثاني: ثانيا: ضوابط التفسير بالرأي:

سبق بيان معنى التفسير بالرأي وأنه ينقسم إلى نوعين، أحدهما ما وافق لسان العرب وتوافر شروط التفسير وقواعد الشريعة ومسلماتها وهو النوع المحمود، وهذا لا بد منه بل هو ضروري، قال الشاطبي[130]: "إن الكتاب لا بد مِنَ القول فيه ببيان معنى، واستنباط حكم، وتفسير لفظ وفهم مراد، ولم يأت جميع ذلك عمن تقدم، فأما أن يتوقف ذلك فتتعطل الأحكام كلها ....[131]".

ونوع سار على غير قوانين العربية أو لم يوافق الشريعة ولم يستوف شروط التفسير، وهو مذموم ومنهي عنه.

وقبل أن يشرع الباحث في بيان ضوابط التفسير بالرأي المحمود، لا بد مِنَ التنويه إلى أنه كما أن للتفسير بالمأثور أنواع فكذلك التفسير بالرأي المحمود له أنواعٌ عديدةٌ باعتبار المجال الذي يتناوله، وإِنْ كان يجمعها جميعًا الاجتهاد والبحث العميق في دلالة النص القرآني، وكل مفسر يهتم بالمجال الذي يهمه أو هو متخصص فيه فيبرز ذلك الاهتمام وذلك الاختصاص في تفسيره، مع الأخذ بعين الاعتبار أن

---

128 ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (111/1).

129 ينظر: أمين، فجر الإسلام. ص (251) ، ضحى الإسلام (143/2).

130 هو إبراهيم بن موسى بن محمد أبو إسحاق اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، وكنيته التي عرف بها أبو إسحاق من علماء الأندلس له مصنفات عديدة لا يستغني عنها طالب العلم، توفي رحمه الله سنة 790 هـ. ينظر: الزركلي، الأعلام (75/1).

131 ينظر: الشاطبي، الموافقات (421/3).

هناك قدرًا مشتركًا يجمع كل التفاسير دون أن يتجاوزه أحد، وهذه الأنواع جميعًا تهدف إلى تحقيق بعض الأهداف على حسب درجة التفاوت في كل واحد وهي:

1- أن يفهم القرآن الكريم مِنْ خلال إيضاح معانيه، عن طريق تفسير غريب القرآن، وبيان المجمل واستنباط المعاني للآيات القرآنية إجمالًا وتفصيلًا، مع إيضاح علاقة النظم المجيد بعضه ببعض، مِنْ سابقٍ ولاحقٍ، وكذلك أسباب النزول، ومتى يكون العبرة بعموم اللفظ وخصوصه، وغيرها مِنَ الدلالات الأصولية لألفاظ القرآن الكريم[132].

2- أن يستفرغ وسعه في استنباط أسرار القرآن الكريم الكونية والبلاغية والتشريعية، كل حسب تخصصه، وطلب الهداية العامة والخاصة، حسب القدرة البشرية، وإظهار عظمة هذا الكتاب والذي هو آخر الكتب السماوية نزولًا وأعظمها جلالًا، وهي المعجزة الكبرى الخالدة، واتخاذ شتى السبل في دعوة الناس إليه، والائتمار بأمره واجتناب نواهيه، والمسارعة إلى ما ندبنا إليه، مِنْ أَجْلِ الوصول إلى اللتي هي أقوم في الدين والدنيا[133].

3- أن يستثمر قصص القرآن الكريم مِنْ أجل العبرة، والاتعاظ بالسنن الكونية فيه، وقطع حجج الخصوم معتمدًا على براهين القرآن وحججه القاطعة، إذْ ليس كل ما في التفسير بالرأي صحيح، فهناك اجتهاد صحيح، وهناك اجتهاد خطأ على حسب الالتزام بضوابط التفسير والامتثال لقواعده[134].

وسيذكر الباحث هنا تعريفا موجزا لأهم أنواع التفسير بالرأي، وبعده سيذكر الضوابط الواجب اتباعها والمعايير المحكمة في قبول تلك الأنواع، ثم يأتي فك التعارض الحادث من التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي (قانون الترجيح).

---

[132] ينظر: الحسين، معايير القبول والرد في النص القرآني. ص (332).

[133] ينظر: الحسين، معايير القبول والرد في النص القرآني. ص (332).

[134] المرجع نفسه.

التعريف بأهم أنواع التفسير بالرأي، وهي:

1- **التفسير العقدي**: وهو تفسير يهتم بجانب العقيدة وهو قائم على بيان حجج القرآن الكريم، وإيضاح أصول الدين والرد على الأديان الباطلة والفرق الضالة؛ دفاعا عن عقيدة المسلمين وتجلية لكبرى اليقينيات الدينية[135].

2- **التفسير الفقهي**: وهو التفسير الذي يهتم به الفقهاء، ويهتم ببيان الأحكام الشرعية وأحكام الحلال والحرام، والمناسبات الفقهية، واختلاف الفقهاء، ومناقشة أقوالهم والترجيح فيما بينها إنْ كان مِنْ أهل الترجيح، وقد يستعين مِنْ أَجْلِ ذلك بالمباحث الأصولية في دلالات الألفاظ ونحوها[136].

3- **التفسير اللغوي**: وهو تفسير يهتم به علماء اللغة العربية، ويتركز عملهم على مناحي اللغة مِنْ نحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ، وهدفهم إبراز الجمال اللغوي للقرآن الكريم وجوانب الإعجاز اللغوي فيه[137].

4- **التفسير الإشاري**: وهو التفسير الذي يُظهر المعنى الخفي للآيات القرآنية، ومثاله تفسير ابن عباس لقوله تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} [النصر: 1] بعد أَنْ سأله أمير المؤمنين[138] أمام كبار القوم مِنَ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فقال: "هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، أعلمه إياه. فقال له سيدنا عمر ابن الخطاب: ما أعلم منها إلا مثل ما تعلم[139]".

هذه كانت أشهر التفاسير القديمة بالرأي المحمود السائغ المقبول الملتزم بضوابط التفسير.

---

135 المرجع نفسه.

136 المرجع نفسه.

137 ينظر: الحسين، معايير القبول والرد في النص القرآني. ص (332).

138 هو: عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي، ثاني خلفاء الراشدين، ولد بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث عشرة سنة، أعز الله المسلمين بإسلامه، لقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالفاروق. استشهد بعد أن طعنه أبو لولؤة المجوسي سنة 23 هـ رضي الله عنه وأرضاه. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (1/83-149).

139 الطبري، جامع البيان (24/708) وينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (2/250 وما بعدها).

Prince of Songkla University Pattani Campus

ثم بعد ذلك أفرز لنا العصر الحديث، ولا سيما في القرن الماضي أنواعًا جديدة مِنَ التفسير بالرأي، ولا يزال المجال مفتوحًا أمامَ المجتهدين، وِفْقَ الضوابط العلمية المعروفة عند أصحاب هذا الفن، ومِنَ هذه الأنواع الجديدة:

1- **التفسير الكوني**: أو ما يُعْرف بالتفسير العلمي، وهو النوع الذي يهتم بإبراز خفايا الأسرار التي تضمنها القرآن العظيم عند حديثه عن الكون وآياته في الآفاق، فالحقائق التي تُكتشف نوع مِنْ كلمات الله الواقعة تبين أن آيات القرآن الكريم هي كلمات الله سبحانه وتعالى الصادقة ولا تعارض فيما بينهما.

فالناظر في حديث القرآن عن الكائنات يرى في ألفاظ عباراته فوق معانيها الظاهرة معاني أخرى دقيقة، تنطوي على أصول وجوامع من العلم الواسع الدقيق عن الكائنات الذي لم يكن معروفًا مِنْ قبل، ولم يتعرف إليه إلا بعد انتشار العلم الحديث، وتنكشف هذه المعاني الدقيقة للمتأملين مِنْ أصحاب العقول على ضوء علمهم الخاص، إما حِينًا مِنْ صريح النص، أو تارةً مِنْ إشاراتٍ ورموزٍ فيه[140].

وإذا ثبت ثبوتًا قاطعًا أن كثيرا مِنَ الحقائق الكونية والمكتشفات العصرية تتفق مع إشارات القرآن الكريم في محكم آياته، فإن مِنَ الواجب أَنْ يتم التعاون في تفسير القرآن الكريم بين العالِمين بأسرار التشريع ودقائق اللغة وبين علماء الكون المتخصصين في شتى العلوم، حتى يتم الاستفادة فيما بينهما في الكشف عن أسرار هذا الكتاب القيم المعجز[141].

2- **التفسير الأدبي**[142]: يعتمد أصحاب هذا التفسير على إظهار وجوه إعجاز القرآن الكريم في التصوير الفني ومظاهره، ووسائله والأمثال القرآنية والقصة وأساليبها، والمنهج التربوي القرآني، وفلسفة القرآن الكريم والنزعة الانسانية فيه، ويمكن القول: إن أصحاب هذا التفسير يسعون في إبراز الجمال الفني في التعبير القرآني و تأثيره على النفس البشرية،

---

[140] ينظر: شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في القرن العشرين. ص (656-657).

[141] المرجع نفسه. وينظر: الحسين، معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني. ص (335-336).

[142] جعل الباحث التفسير الأدبي من التفسير المعاصر على الرغم من وجود كتب قديمة اهتمت بالجانب الأدبي والبلاغي في القرآن الكريم كَكُتُب عبد القادر الجرجاني؛ ذاك أن مقصد الباحث تفسير أدبي جاء بلغة العصر الحديث والله أعلم.

Prince of Songkla University Pattani Campus

والاستفادة مِنَ التعبير القرآني في الساحة الأدبية والفنية والجمالية، والدراسات النفسية في استنباط روائع القرآن الكريم[143].

3- **التفسير الاجتماعي**: ويكون اعتماده على إظهار الهداية القرآنية التي هي أساس نزوله وأصل أصوله، ومنها تفرعت سننه وتشريعاته، وإليها قَصَد القرآن، كما يعتمد هذا النوع مِنَ التفسير على إظهار السنن الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم، كما ركز هؤلاء على ضرورة معرفة أحوال البشر، العلم الذي عدوه ضرورة لمعرفة التفسير وإنزاله على وقائع الناس، كما يدعو أصحاب هذا المنهج إلى تحرير الفكر وتجميد العقل والدعوة إلى نبذ التقليد، والسعي إلى التغيير والنهضة بالأمة الإسلامية[144].

4- **التفسير الموضوعي: وهو تفسير** يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر[145].

كانت تلك أهم أنواع التفسير بالرأي الحديث وقد سبقه أنواع التفسير بالرأي القديم، ولن يتعرض الباحث في هذا المقام نقد تلك الأنواع بالتفصيل والحديث عن كل نوع، فهذا ليس مقام بسطه، ولكن سيتعرض الباحث على ذكر أهم الضوابط الواجب اتباعها في التفسير بالرأي عموما، مع التنويه أنه ليس بالامكان رد نوع مِنْ تلك الأنواع برمته، إضافة لا بد مِنْ بيان الأخطاء العلمية التي تنتج مِنْ تلك الأنواع مِنَ التفسير؛ فالرأي يتبع الاجتهاد، والاجتهاد يتبعه الاختلاف، والاختلاف لا بد أن يصاحبه الخطأ، والخطأ قد يكون مغفورًا بل مأجورًا إنِ اعتمد صاحبه على الضوابط العلمية والقواعد الشرعية المتبعة، وكان المفسر قبل ذلك أهلًا للاجتهاد.

---

[143] ينظر: المراجع السابق. ص (579-583)، ص. (336) وينظر: البوطي، من روائع القرآن. ص (168-181-191).

[144] ينظر: شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر. ص (309 وما بعدها).

[145] وسيأتي الحديث بشكل مفصل في الفصل الرابع.

Prince of Songkla University Pattani Campus

ومن أهم ضوابط التفسير بالرأي عموما على شتى أنواعه القديم والحديث:

1- أن يتدبر في آيات القرآن الكريم، ولا يضرب بعضها ببعض، وأن يفهم مقصود تلك الآيات على هَدْيِ الأخرى، وأن يبذل جهده ووسعه حسب الطاقة البشرية في تنزيل الآيات في منازلها، وَوِفْقًا للترتيب الذي رتبه المولى الجليل سبحانه، والإخلال بذلك يكون مجانبًا للصواب وموافقا لِدَيْدَنِ غُلَاة المتكلمين والفرق الضالة، فكل منهم يحمل ظواهر القرآن كما يشاء، فالجبرية يتمسكون بالآيات التي أسندت الهداية والإضلال إلى الله سبحانه، والقدرية يتمسكون بالآيات التي أسندت الأفعال إلى العبد، وأهل الحق يأخذون بالجميع، ويفسرون القرآن بفك التعارض الظاهري برد المتشابه إلى المحكم والعودة إلى مسلمات الشرع[146].

2- عدم مخالفة النقل الثابت المستقر عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا هو أساس الأساس، وعليه المعول في التفسير بالرأي، مع التنبه والحذر مِنَ الضعيف والموضوع في التفسير؛ فإنه كثير[147].

3- التزام الأخذ بقول الصحابي فيما لا مجال للرأي فيه؛ فإن تفسيره عند العلماء بمنزلة المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم والقضايا التي لا مجال للرأي فيها كبيان مجمل، وإيضاح مبهم، وسبب النزول، والمتشابه وقضايا الغيب والآخرة، وثواب الأعمال ونحو ذلك، أما في القضايا الاجتهادية وما للرأي مجال فيه فالأمر فيه سعة، وَمَنْ يُخالف الصحابي لا بد له مِنْ بينة وحجة قوية حتى يُقبل خلافه[148].

4- الالتزام بقواعد أصول الفقه في الفهم والاستنباط والاجتهاد، كالمفهوم والفحوى، ودلالة العام والخاص والمطلق والمقيد، وكذلك مراعاة الإجماع والخلاف، وهي بمجموعها تعد ملكة

---

[146] ينظر: أبو بكر الباقلاني، الانتصار للقرآن (660/2).

[147] ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (156/2) السيوطي، الإتقان (472/2) الزرقاني، مناهل العرفان (37/2) البوطي، من روائع القرآن. ص (37).

[148] المصادر والمراجع نفسها.

Prince of Songkla University Pattani Campus

علمية تؤهل صاحبها لاستنباط المعاني والأحكام مِنْ كتاب الله عز وجل، وهي مِنْ أعظم الطرق في استثمار الأحكام مِنَ الآيات، فهي قواعد التفسير للنصوص[149].

5- ضرورة التقيد والالتزام بقواعد اللغة العربية؛ إذْ إنَّ القرآن الكريم نزل بلسان العرب، وكان مالك[150] بن أنس رضي الله عنه يقول: "لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا"[151].

6- التفسير بالمقتضى مِنْ معنى الكلام والمقتضب مِنْ قوة الشرع، وهذا هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس في قوله: ((اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل....))[152]. وعن أبي جحيفة[153] رضي الله عنه أنه قال: قلت لعلي رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: "لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن ....[154]".

قال الزركشي[155]: "وعلى هذا قال بعض أهل الذوق: للقرآن نزول وتنزل، فالنزول قد مضى والتنزل باق....[156]".

فلا يجوز حينئذٍ التفسير بالرأي مِنْ غير حجةٍ ولا برهانٍ، وإلا كان تَشهيًا واتباعًا للهوى والنفس وقولًا على الله سبحانه وتعالى مِنْ غير عِلْم.

---

149 المصادر والمراجع نفسها.

150 أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني، ولد سنة 93 هـ، فقيه ومحدِّث، وقد أثنى عليه كثيرٌ من العلماء، ويُعدُّ كتابه "الموطأ" من أوائل كتب الحديث النبوي وأشهرها وأصحِّها، توفي سنة 179 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء. (74/8-135).

151 ينظر: المصدر السابق. (292/1) (160/2).

152 الحديث سبق تخريجه. ينظر: الزركشي، البرهان (161/2) السيوطي، الإتقان (474/2).

153 هو: أبو جحيفة السوائي واسمه وهب بن عبد الله بن مسلم، من صغار الصحابة، لم يكن قد بلغ الحلم حين توفي النبي، روى عدة أحاديث، كان على شرطة علي بن أبي طالب وبيت المال. توفي سنة 74هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (202/3-203).

154 البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: فكاك الأسير، رقم الحديث (2911).

155 هو: بدر الدين الزركشي أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن بهادر بن عبد الله الزَّرْكَشِيّ المصري، فقيه شافعي، أصولي ومحدث، له مؤلفات في علوم كثيرة. وُلد في القاهرة سنة 745 هـ، وتُوفي سنة 794هـ. ينظر: ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية (183/1).

156 المصدر السابق.

Prince of Songkla University Pattani Campus

7- عدم القطع بأن مراد الله كذا مِنْ غير دليل قاطع مِنْ نص أو إجماع، أما إذا كان الدليل ظنيًا ظنًا راجحا فلا بأس مِنَ الأخذ به، بل الأخذ به واجبٌ، ولكن لا يجزم أن هذا هو مراد الله[157].

8- عدم الخوض فيما ليس للرأي فيه مجال، مما لم يُطلع الله عليه أحدًا مِنْ خلقه بل استأثر به وحده ولا يعلمها إلا هو.

قال الإمام السيوطي[158]: "وأما ما لا يعلمه إلا الله تعالى فهو ما يجري مجرى الغيوب، نحو الآي المتضمنة قيام الساعة .....، فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره، ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف بنص مِنَ القرآن أو الحديث أو إجماع الأمة على تأويله"[159].

9- أن يكون القرآن العظيم هو الحاكم والمهيمن على أقوال الناس، فلا يُحمل النص القرآني على مذاهب الناس؛ بل تُعدل مذاهب الناس لتوافق القرآن؛ فلا يجوز أن يعتقد الإنسان المعنى أولا ثم يحمل ألفاظ القرآن عليه[160].

10- عدم حمل ألفاظ القرآن على غير معانيها إبان نزول الوحي، ويجب أخذ الحذر مما طرأ على معانيها مِنْ تطور في الاستعمال، وذلك لأن نصوص القرآن العظيم تحمل على معهود الأميين في الخطاب ، أشار بذلك الشاطبي: "لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم؛ فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن.... [161]".

---

157 ينظر: المصادر والمراجع السابقة.

158 سيأتي ترجمته.

159 ينظر: السيوطي، الإتقان (481/2)

160 المصدر نفسه.

161 ينظر: الشاطبي، الموافقات (82/2) شريف، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم. ص (678).

ولا يعني هذا أن نقتصر على أفهامهم، بل المراد أن نسير وفق مناهجهم في فهم الخطاب وأساليبه ومعاني المفردات التي كانت شائعة عندهم[162].

11- في حين تفسير القرآن الكريم بما استجد مِنَ العلوم يجب أن تكون تلك القضايا حقائق يقينية مقطوعا بها عند أهل الاختصاص؛ فلا يجوز تفسير القرآن بافتراضات ونظريات غير ثابتة، أو لا تزال رهن التجربة والبحث[163].

كما لا يجوز الإعراض عن حقائق الكون والعلم المقطوع بها، فالقرآن يستحيل أن يعارض العلم؛ لأن مصدرهما واحد، وجميع التصورات السابقة كان النص القرآني يستوعبها دون أن يخالف الحقيقة العلمية، وهذه مِنْ أعظم وجوه الإعجاز القرآني[164].

وفي حال وجود تعارض بين ظاهر القرآن وحقائق العلم الثابتة تُطبق قانون التعارض والترجيح الذي سيأتي ذكره بعد مبحث ضوابط التفسير بالرأي.

كانت تلك أهم الضوابط التي استخلصها الباحث مِنْ كلام أهل العلم، ويبدو أن هناك تداخل مع بعضها البعض، أو بعضها مندرج في الآخر، وعلى كل فإن الخلل في هذه الضوابط يؤدي إلى الإخلال في المعاني والتفسير وحمله على غير مراده والله أعلم.

مسألة التعارض بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي:

كيف يتم فك التعارض بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، وأيهما يرجح على الآخر؟

لا بد مِنْ تقرير في بداية الأمر أن المقصود بالتفسير بالرأي هو الرأي المحمود، إذ الرأي المذموم وهو المخالف للقواعد العلمية والضوابط الشرعية ساقط مِنْ أول الأمر، لا يَقوى على معارضة المأثور، ثم إن التعارض بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي المحمود يعني التنافي بينهما بأن يدل أحدهما على إثباتٍ

---

162 ينظر: الحسين، معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني. ص (341).

163 ينظر: الحسين، معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني. ص (341).

164 المرجع نفسه.

Private of Songkla University Pattani Campus

والآخر على نفيٍ مثلًا، أما إذا لم يكن هناك تنافٍ فلا تعارض وإن تغايرا، كتفسيرهم الصراط المستقيم بالقرآن أو بالسنة أو بطريق العبودية أو طاعة الله ورسوله؛ فهذه المعاني غير متنافية وإنْ تغايرت، فهذا مِنَ الاختلاف الذي يكون مرده إلى الاجتهاد، وبالامكان الجمع بين كثير مِنَ الأقوال؛ إذْ لا تنافي بينهما والاختلاف يكون في التعبير عنها، أو أَنْ يكون النص عامًا فيقوم كل مفسرٍ بِذِكْر فردٍ مِنْ أفراد ذلك العام، أو غير ذلك، مما يعد اختلاف تنوعٍ لا اختلاف تضاد[165].

وإنِ امتنع الجمع بحث عن المرجحات الأخرى مِنْ موافقةٍ للسياق أو لظاهر القرآن الكريم أو لصريح سُنة[166].

أما التفسير بالمأثور الثابت بالنص القطعي لا يمكن أن يعارض التفسير بالرأي؛ لأن الرأي إما ظني وإما قطعي أي مستندٌ إلى دليلٍ قطعي مِنْ عقلٍ أو نقلٍ، فإن كان قطعيًا فلا تعارض بين قَطْعِيَّيْن؛ بل يُؤول المأثور ليرجع إلى الرأي المستند القطعي جمعًا بين الدليلين[167].

أما إذا كان الرأي ظنيًا بأَنْ خلا مِنَ الدليل القاطع واستند إلى الأمارات والقرائن الظاهرة فقط، فإن المأثور القطعي يقدم على الرأي الظني؛ ضرورة أن اليقين أقوى مِنَ الظن، هذا كله فيما إذا كان المأثور قَطْعِيًا أما إذا كان المأثور غير قَطْعي في دلالته لكونه ليس نصًا أو غير قَطْعي في ثبوته لكونه خبر آحاد ثم عارضه التفسير بالرأي، فلا يخلو الحال إما أن يكون حصل فيه التعارض مما لا مجال للرأي فيه، فالمعول عليه حينئذٍ المأثورُ فقط، ولا يقبل الرأي، وإن كان للرأي فيه مجال، فإن أمكن الجمع وجب المصير إليه؛ لأن الجمع أولى مِنَ الترجيح وإعمال كلا الدليلين أولى مِنْ إهمال أحدهما، وإن لم يكن فعليه تقديم المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة؛ لأنهم شاهدوا الوحي وعاصروا التنزيل إضافة إلى أنهم أهل العربية[168].

---

165 ينظر: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير. ص (11).

166 المصدر نفسه.

167 ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان (47/2).

168 المرجع نفسه.

Prince of Songkla University Pattani Campus

وليس المعنى في اعتماد التفسير بالرأي بأن يكون استبدال الرأي البشري بالرواية الصحيحة والأحاديث الشريفة الثابتة في تفسير الآية، فهذا لا يَجْسُر على فعله مسلم؛ إذ هو عملٌ مُحرمٌ بالاتفاق، ولكن الرأي هو الفَهْمُ الثاقب عن الله سبحانه معتمدًا على العقل والنقل معًا[169].

أما المأثور عمن دون الصحابة والتابعين فالعبرة لا بقول القائل بل بحجته عقلًا أو نقلًا، فما وافق الدليل قُبل وإلا كان مردودًا.

بناءً على القاعدة العلمية الذهبية التي أسسها علماء البحث والمناظرة المسلمون: "إذا كنت ناقلًا فالصحة أو مُدعيًا فالدليل[170]".

وبعد، فإن مما سبق مِنَ المقارنة بين ضوابط التفسير بالمأثور وبين ضوابط التفسير بالرأي؛ علم أن التفسير بالمأثور شأنه شأن علم الحديث وضوابطه مثل ضوابط علم الحديث، ولا بد مِنْ تحقق الشروط المطلوبة في المتن والإسْناد، وأن التفسير بالرأي المحمود بكلا أنواعه القديم والحديث، لا بد له أولًا التقيد بالمأثور، ولا يجوز للمفسر بالرأي أن يغمض العين عن الآثار الواردة الصحيحة، وأما ما لم يرد فيه أثر فلا يحق للمفسر أن يفسر برأيه حتى تتوافر فيه الشروط والضوابط والمعايير مِنْ عِلْم اللغة والنحو والصرف ، والبلاغة والبيان والبديع، وأصول اللغة والدين، وأصول الفقه وعلم الفقه، وعلم الحديث وأصوله كما ذكره الباحث سابقًا.

المبحث الخامس: ذكر أشهر المفسرين بالتفسير بالمأثور وأهم كتبهم، وذكر أشهر المفسرين بالرأي وأهم كتبهم:

المطلب الأول: أشهر المفسرين بالتفسير بالمأثور وأهم كتبهم

من الطبيعي أن الباحث لن يتعرض لِذِكْر جميع الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور؛ إذ لا يتسع المقام لذلك، ولو أخذ الباحث في تناول تلك الكتب كتابًا كتابًا لشق عليه الأمر ولأصبح كالمنبت فلا

---

169 ينظر: البوطي، من روائع القرآن. ص (78).

170 ينظر: الآمدي، شرح الولدية في آداب البحث والمناظرة. ص (117).

أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى، وحَسْب الباحث أن يذكر أهم المفسرين بالمأثور، وأهم كتبهم المتداولة في الوقت الحالي.

لذا سيتعرض الباحث لأهم سبعة مفسرين وكتبهم التي اشتهرت بالمأثور، مع نبذة مختصرة عن المفسر، وبيان أهم السمات التي تميزت في تفسيره، وطريقة عرضه في التفسير، ومن هذه الكتب التي وقع عليها اختيار الباحث هي ما يأتي[171]:

1- محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن.
2- أبو الليث السمرقندي: بحر العلوم.
3- أبو إسحاق الثعالبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن.
4- ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.
5- الحافظ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم.
6- عبد الرحمن الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن.
7- جلال الدين السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور.

وسوف يتناول الباحث في الكلام عن كل واحد منهم حسب الترتيب السابق فيقول وَمِنَ الله المعونة:

1- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري

- **نبذة عن المؤلف:**

اسمه أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري، الإمام الجليل، المجتهد المطلق، صاحب التصانيف المشهورة، وهو مِنْ أهل آمل طبرستان، ولد بها سنة 224هـ، ورحل مِنْ بلده

---

171 قام الباحث باستطلاع المراجع في بيان ذكر أهم المفسرين بالمأثور، واستقر به الأمر على ما كتبه الدكتور محمد حسين الذهبي- رحمه الله- في كتابه التفسير والمفسرون (136/1 وما بعدها).

Prince of Songkla University Pattani Campus

لطلب العلم وطاف الأقاليم، فسمع بمصر والشام والعراق، إلى أَنِ استقر به المقام في بغداد حتى توفي بها سنة 310 هـ.

كان ابن جرير أحد الأئمة الأعلام، يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، كان حافظًا لكتاب الله، بصيرًا عارفًا بالمعاني فقيهًا بأحكام القرآن، عالمًا بالسُنن وطرقها، وعارفًا لأقوال الصحابة والتابعين، وعارفًا لكلام العرب وأساليبهم، كما جمع كثيرًا مِنَ العلوم كأيام الناس وأخبارهم، فألف كتابه المشهور في التاريخ المشهور (بتاريخ الأمم والملوك) كما ألف في القراءات والعد والتنزيل، وكتاب النصر في أصول الدين ما يدل على سعة علمه وغزارة فضله[172].

- **طريقة ابن جرير في تفسيره جامع البيان:**

يتجلى بوضوح لِمَنْ نظر في كتاب جامع البيان هو قول ابن جرير: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا. إذ بعد ذلك يقوم ابن جرير بتفسير الآية ويتسشهد على ما قاله بما يرويه بسنده إلى الصحابة أو التابعين مِنَ التفسير، ولا يقتصر على مجرد الرواية، بل يتعدى إلى توجيه الأقوال، ويرجح بعضها على بعض، كما يتعرض لناحية الإعراب إِنْ دعت الحاجة، كما يستنبط الأحكام التي يمكن أخذها مِنَ الآية، مع توجيه الأدلة وترجيح ما يختار.

- **أبرز السمات في تفسير ابن جرير:**

- **ذِكْر الأسانيد:**

وابن جرير وإن التزم في تفسيره ذكر الروايات بأسانيدها، إلا أنه في الأغلب لا يتعقبها بتصحيح ولا تضعيف، وهو بذلك خرج مِنَ العهدة لأن مَنْ أسند فقد حمل القارئ على البحث عن رجال السند ومعرفة مبلغهم مِنَ العدالة أو الجرح، وأحيانًا يقف مِنَ السند موقف الناقد البصير، فَيُعدل

---

[172] ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (14/267-282).

مِنْ رجال الإسناد، ويجرح مَنْ يجرح منهم، ويرد الرواية التي لا تثق بصحتها، ويذكر رأيه فيها بما يناسبها[173].

- **تقديره للإجماع.**
- **روايته للإسرائيليات:** يأتي ابن جرير في تفسيره بأخبار مأخوذة مِنَ القَصَصِ الإسرائيلي، يرويها بسنده إلى كعب الأحبار، ووهب بن منبه،[174] وابن جريج،[175] وغيرهم[176]، ولعل هذا راجعٌ إلى ما تأثر به مِنَ الروايات التاريخية التي عالجها في بحوثه التاريخية الواسعة[177].
- **خوضه في مسائل الكلام:**

فابن جرير بارعٌ في مناقشة بعض الآراء الكلامية مُوَافِقٌ لأهل السنة والجماعة في آرائهم ويظهر ذلك جليًا في رده على القدرية في مسألة الاختيار[178].

كما يُكْثر ابن جرير مِنَ التصدي والرد على المعتزلة؛ إذْ يُجادلهم مجادلةً حادةً في تفسيرهم العقلي التنزيهي للآيات التي تثبت رؤية الله عند أهل السنة[179].

- **قيمة كتاب جامع البيان في تفسير القرآن:**

يعتبر تفسير ابن جرير مِنْ أنفس التفاسير وأشهرها، وبإمكان اعتباره المرجع الأول عند المفسرين الذين عَنَوْا بالتفسير بالمأثور، وإنْ كان في نفس الوقت يعتبر مرجعًا لا تقل أهمية مِنْ مراجع

---

[173] ينظر: الطبري، جامع البيان (13/16).

[174] هو: وهب بن منبّه بن كامل بن سيج بن ذي كبار ولد سنة 34 هـ وهو تابعي جليل، له معرفة بكتب الأوائل وإخباري قصصي يُعد أقدم من كتب في الإسلام. توفي سنة 114 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (4/544-557).

[175] هو: أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي، ولد سنة 80 هـ، أحد العلماء الفقهاء وقرّاء القرآن ورواة الحديث عند أهل السنة والجماعة. وهو من تابعي التابعين، توفي سنة 150 هـ. ينظر: المصدر نفسه. (6/328-336).

[176]( ) ينظر: المصدر السابق. (15-33-35).

[177]( ) ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (1/143).

[178] ينظر: الطبري، جامع البيان (14/58-67).

[179] المصدر نفسه. (23/510 وما بعدها).

التفسير بالعقل والرأي؛ لما فيه مِنَ الاستنباط، وتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، ترجيحا يستند على النظر والاجتهاد العقلي، والبحث الدقيق، يقع كتابه في ثلاثين مجلدًا مِنَ الحجم الكبير[180].

وإنَ ما جَمَعَهُ ابن جرير في كتابه مِنْ أقوال المفسرين الذين تقدموا عليه، وما نقله مِنَ الصحابة والتابعين جعله بحقٍ مِنْ أعظم الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور، كما جاء به ابن جرير مِنَ الإعراب والمسائل النحوية وتعدد الأقوال والترجيح فيما بينها، كان نقطةً في التحول في التفسير، ونواةً لما وجد بعد مِنَ التفسير بالرأي.

2- بحر العلوم للسمرقندي

- **نبذة عن المؤلف:**

هو أبو الليث، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي. المعروف بإمام الهدى. شيخه أبو جعفر الهنداوي، اشتهر بكثرة الأقوال المفيدة، والتصانيف المشهورة. ومِن أهم تصانيفه تفسير القرآن المسمى (ببحر العلوم)، والمعروف بتفسير أبي الليث السمرقندي، وله كتاب (النوازل في الفقه). توفي رحمه الله سنة 373 هـ[181].

- **طريقة السمرقندي في كتابه بحر العلوم:**

قدم المؤلف بحثًا في أول الكتاب يحث فيه على طلب التفسير وبيان فضله، واستشهد بذلك بروايات عن السلف، رواها بإسنادها إليهم، وأحوال التنزيل، واستدل على حرمة التفسير بالرأي بغير دليل ولا نقل ولا تضلع بمعرفة أحوال العرب ولغتهم[182].

---

[180] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (148/1).

[181] ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (322/16-323).

[182] ينظر: أبو الليث السمرقندي، بحر العلوم (11/1-13).

Prince of Songkla University Pattani Campus

ثم أغلب طريقته في التفسير بالمأثور عن السلف، دون ذكر إسناد إلى مَنْ يروي عنهم، ولا يحكم على الرواية التي يرويها بصحةٍ أو ضعفٍ، ويكاد يخلو تفسيره مِنَ الترجيح والتعقيب عند تعدد الأقوال، ولم يكثر مِنْ روايات الإسرائيليات.

- **قيمة كتاب بحر العلوم في علوم القرآن:**

هو كتابٌ لطيفٌ قَيِّمٌ مُفيدٌ، يغلب جانب الرواية على جانب الدراية[183].

3- الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي

- نبذة عن المؤلف:

هو أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المقرئ المفسر. الحافظ الواعظ، كان رأسًا في التفسير والعربية، متن الديانة، قال عنه ابن خلكان: "كان أوحد زمانه في علم التفسير، وصنف التفسير الكبير الذي فاق...."[184]. توفي رحمه الله تعالى سنة 427 هـ.

- **طريقة الثعلبي في كتابه الكشف والبيان عن تفسير القرآن:**

بدأ المفسر في كتابه بمقدمةٍ ذَكَر فيها أصناف المفسرين لكتاب الله، كما ذكر في أول الكتاب أسانيده إلى مَنْ يروي عنهم التفسير مِنْ علماء السلف، وكتب الغريب والمشكل والقراءات ثم ذَكَر بابًا في فضل القرآن وأهله، وبابا في معنى التفسير والتأويل، ثم شرع في التفسير[185].

- **أبرز السمات في كتاب الكشف والبيان:**

- التفسير بما جاء مِنَ السلف، مع الاختصار للأسانيد.
- التوسع في المسائل النحوية.
- الاستعانة بالشعر الجاهلي في توضيح الكلمات اللغوية وذِكْر أصولها وتصاريفها.

---

183 ينظر: خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (234/1).

184 ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (37/1-38).

185 ينظر: الثعلبي، تفسير الثعلبي (73/1-89).

Prince of Songkla University Pattani Campus

- التوسع في الأحكام الفقهية إلى درجة الخروج عن المراد من الآية.
- التوسع في ذكر الإسرائيليات بدون تعقيبٍ أو تنبيهٍ ولو كان في نهاية الغرابة.
- عدم تحري الصحة في نقل الرواية، بل وُجد عليه الإكثار مِنَ النقل عن السدي الصغير[186] عن الكلبي[187] عن أبي صالح[188] عن ابن عباس[189].
- الإكثار من الأحاديث الموضوعة وخاصة التي جاءت في بيان فضل السورة[190].

- **قيمة كتاب الكشف والبيان عن تفسير القرآن:**

قال ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير: "والثعلبي هو في نفسه كان فيه خير ودين، وكان حاطب ليل"[191].

ومَنْ يقرأ تفسير الثعلبي يعلم أن ابن تيمية لم يتقول عليه، ولم يَصِفه إلا بما هو فيه.

4- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية

- **نبذة عن المؤلف:**

هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي الحافظ القاضي. ولد سنة 481 هـ، وتربى في بيت علمٍ وفضلٍ؛ فأبوه أبو بكر غالب بن عطية إمامٌ حافظٌ وجليلٌ، ورَحَل في

---

186 هو: محمد بن مروان الكوفي من أتباع التابعين وهو متهم بالكذب في الحديث كما قال الحافظ، لذلك لم يخرج له أحد من أصحاب الكتب الستة وهو مجمع على تركه، توفي سنة 127 هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (265/5).

187 هو: أبو المنذر هشام بن الأخباري الباهر محمد بن السائب بن بشر الكلبي الكوفي الشيعي أحد المتروكين، توفي سنة 204 هـ. المصدر نفسه. (101/10-103).

188 هو: أبو صالح باذان مولى أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها تابعي كبير، سمع من علي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وأم هانيء، واختلف في سماعه عن ابن عباس، ويرجح د. حاتم الشريف سماعه من ابن عباس. ينظر: الشريف، منتدى الدراسات الحديثية- القول المحرر لترجمة أبي صالح باذام المفسر (70/14-86).

189 وهو ما يعرف عند أهل الحديث بسلسلة الكذب. ينظر: السيوطي، تدريب الراوي (1814/1) وينظر: السيوطي، الإتقان (189/2).

190 ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (152/1-155).

191 ينظر: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير. ص (19).

Prince of Songkla University Pattani Campus

طلب العلم وتفقه على العلماء، إلى أَنْ وَلِيَ القضاء بمدينة المرية بالأندلس، وكان متوخيًا الحق في قضائه عادلًا في الحكم، وتوفي بالرقة سنة 546 هـ رحمه الله تعالى[192].

- **طريقة ابن عطية في كتابه المحرر الوجيز:**

يذكر المؤلف الآية أولا ثم يقوم بتفسيرها بطريقة سهلة عذبة، يورد مِنَ التفسير بالمأثور ويختار منه مِنْ غير إكثار، ويكثر النقل مِنْ ابن جرير الطبري رحمه الله، ويناقش المنقول عنه أحيانا، كما يناقش ما ينقله عن غير ابن جرير ويرد عليه، كما يستشهد بالشعر العربي وهو كثير في تفسيره، ويأتي بالمعاني الأدبية للعبارات، ويتعرض للقراءات وتوجيهها[193].

- **قيمته كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:**

يعتبر كتابه مِنْ أعز كتب التفسير بالمأثور؛ وذلك لما أضفى عليه مؤلفه مِنْ روحه العلمية الباهرة، فقد لخص ودقق ونقح، مما أكسبه رونقًا ورواجًا وقبولًا. قال ابن خلدون: "من كتاب التفاسير كلها- أي تفاسير المنقول- وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها،...."[194].

وقال ابن تيمية عن تفسير ابن عطية: "وكتاب ابن عطية أنقل، وأجمع، وأخلص[195]".

5- **تفسير القرآن العظيم لابن كثير**

- **نبذة عن المؤلف:**

هو الإمام الجليل الحافظ، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمرو بن كثير بن ضوء البصري ثم الدمشقي، الفقيه الشافعي، قدم دمشق مع أخيه وله سبع سنين بعد موت أبيه. سَمِع مِنْ ابن الشحنة،

---

192 ينظر: ابن حيان، البحر المحيط (9/1).

193 ينظر: المرجع السابق. (159/1).

194 ينظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون. ص (491).

195 ابن تيمية، فتاوى ابن تيمية (194/2).

Prince of Songkla University Pattani Campus

والآمدي، وابن عساكر، وأخذ مِن ابن تيمية وولع بحبه حتى امتحن بسبب ذلك وأوذي. ولد سنة 700 هـ وتوفي في شعبان سنة 774 هـ ودفن عند شيخه ابن تيمية رحمهما الله تعالى[196].

- **طريقة ابن كثير في كتابه تفسير القرآن العظيم:**

جاء بمقدمة طويلة ذكر فيها أشياء كثيرة هامة ما لها اتصال بالقرآن وتفسيره، ولعلها مأخوذة من كتاب شيخه ابن تيمية (مقدمة في أصول التفسير). وأهم السمات البارزة[197] في تفسير ابن كثير:

- تفسير القرآن بالقرآن.
- إثبات الأحاديث المرفوعة مع الوقوف عليها جرحا وتعديلا، ولا ريب فهو إمام في هذا الفن.
- التنبيه على الروايات الإسرائيلية وأنها لا تصدق ولا تكذب فيما لا يتعلق بالعقيدة وأصول الدين.
- التعرض لآيات الأحكام والخوض في اختلاف الفقهاء ولكن دون توسع.

- **قيمة تفسير القرآن العظيم:**

يعتبر مِنْ أشهر ما دون في التفسير المأثور، ويعتبر الكتاب الثاني بعد كتاب ابن جرير الطبري، والكتاب مطبوع في أربعة أجزاء. قال عنه السيوطي: "إنه لم يؤلف على نمطه مثله[198]".

6- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي**

- **نبذة عن المؤلف:**

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجزائري، المغربي، المالكي، الإمام الحجة، العالم العامل، الزاهد الورع، كان مُعْرِضًا عن الدنيا وأهلها، وَلِيًّا مِنْ خيار عباد الله الصالحين. شهد له

---

[196] ينظر: ابن حجر ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (1/445-446).

[197] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (1/161-162).

[198] ينظر: الكتاني، الرسالة المستطرفة. ص (146).

Prince of Songkla University Pattani Campus

الناس بذلك وأثنى عليه جماعة مِنْ شيوخه بالعلم والدين والصلاح. توفي في الجزائر سنة 876 هـ رحمه الله تعالى[199].

- **طريقة الثعالبي في كتابه جواهر الحسان:**

لقد ذكر المؤلف في بداية كتابه أن تفسيره عبارة عن تلخيص ابن عطية الأندلسي، وأنه أضاف إليه زيادات ذات فوائد جمة، وكل مَنْ ينقل عنهم يشير إليه برمزٍ مُعينٍ[200] ويتعرض للإسرائيليات ولكن لا يستطرد ويعقب عليها وينبه فيما ليس فيها شيءٌ مِنَ الصحة[201].

- **قيمة كتاب جواهر الحسان في تفسير القرآن:**

يُعتبر كتاب جواهر الحسان تلخيصًا لتفسير ابن عطية، مع زيادة نقول عمن سبقه من المفسرين، وزبدة القول، إن الكتاب مفيدٌ، جامعٌ لخلاصات كتبٍ مفيدةٍ، وليس ما في غيره مِنَ الحَشْو المخِل، والاستطراد المِمل[202].

7- **الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي**

- **نبذة عن المؤلف:**

هو الإمام الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، السيوطي الشافعي، المسند المحقق البارع، صاحب التصانيف الفائقة النافعة، ولد في رجب سنة 849 هـ، نشأ يتيمًا إذْ توفي والده وهو في العمر الخامس، فرعاه الكمال بن الهمام، فقرره في وظيفة الشيخونية ولحظه بنظره، وختم القرآن وله من العمر ثمان سنين، تتلمذ على كثير مِنَ الشيوخ حتى أصبح آيةً في التأليف والتحرير، ولما بلغ الأربعين تجرد للعبادة، وانقطع إلى الله تعالى، وأعرض عن الدنيا وأهلها، وترك الافتاء والتدريس،

---

[199] ينظر: شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع (152/4) وينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج. ص (173-175).

[200] ينظر: الثعالبي، الجواهر الحسان (117/1).

[201] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (166/1).

[202] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (166/1).

Prince of Songkla University Pattani Campus

واعتذر عن ذلك في مؤلف سماه بالتنفيس، وأقام في روضة المقياس ولم يتحول عنها إلى أَنْ مات سنة 911 هـ، رحمه الله تعالى[203].

- **طريقة السيوطي في كتابه الدر المنثور في التفسير المأثور:**

لعله الكتاب الوحيد الذي اكتفى بالمأثور دون محاولةٍ لإعمال رأيٍ، والكتاب مِنْ أوله حتى آخره سَرْدُ الروايات عن السلف في التفسير دون تعقيبٍ عليها، بجرحٍ أو تعديلٍ، أو تضعيفٍ وتصحيحٍ، أخذ الروايات مِنَ البخاري، ومسلم، والنسائي، والترمذي، وأحمد وغيرهم[204].

- **قيمة كتاب الدر المنثور في التفسير المأثور:**

كتابٌ مطبوعٌ في ست مجلدات، متداولٌ بين أهل العلم، مع التنبيه إلى أن الكتاب يحتاج إلى تصفيةٍ، فقد خلط الإمام في تفسيره الدر المنثور بالصحيح والعليل كما ذكر الباحث أعلاه في طريقته في التفسير[205].

وإلى هنا يمسك الباحث عما دُوِنَ في التفسير بالمأثور، وما ذكره كافيًا في هذا المقام، كي لا يَخْرُج كثيرًا عن حدود البحث، ومخافة التطويل والسآمة والملل.

المطلب الثاني: أشهر المفسرين بالرأي وأهم كتبهم:

بَيَّنَ الباحثُ سابقًا بأن التدوين قد عُرف مِنْ عهدٍ قديمٍ، وأن التفسير بالرأي الجائز قد حظي كغيره مِنْ سائر العلوم في التدوين، وهي مؤلفاتٌ كثيرةٌ ضخمةٌ أُلفت على مر العصور، إلا أن تلك المؤلفات بعضها درس رسمها وعفي أثرها، وبعضها لا زالت محفوظة في المكتبات الإسلامية أو غير إسلامية على شكل مخطوطات، ومِنْ هذه المخطوطات هيأ الله لها رجال أخرجوها مِنْ حَيز عالم المخطوطات إلى حَيز عالم الكتب الحديثة وقواعد إملائها المشهورة.

---

[203] ينظر: ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهلب في أخبار من ذهب (10-74-79).

[204] ينظر: المرجع السابق. (168/1).

[205] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (168/1).

Prince of Songkla University Pattani Campus

كما كان في مسألة أشهر المفسرين بالمأثور وأهم كتبهم بأَنِ اقتصر الباحث على ذِكْر بعضٍ منها، كان عليه هنا أيضا أن يقتصر في ذكر بعض كتب التفسير بالرأي الجائز، مع التنويه أن هذه الكتب مختلفةُ الاتجاهات والنزاعات؛ فمنها ما يميزها الصناعة النحوية، والأخرى فلسفية، وتلك كلامية، وَثَم إشارية، إلا أن جميعها تندرج تحت التفسير بالرأي في الإجمال، ومِنْ بين هذه الكتب التي وقع على الباحث اختيارها:

1- مفاتيح الغيب: للفخر الرازي.
2- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للبيضاوي.
3- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي.
4- البحر المحيط: لأبي حيان.
5- تفسير الجلالين: للجلال المحلي، والجلال السيوطي.
6- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود.

هذه الكتب التي سيتكلم عنها الباحث حسب الترتيب المذكور إن شاء الله.

Prince of Songkla University Pattani Campus

1- مفاتيح الغيب للرازي

- **نبذة عن المؤلف:**

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، التميمي، البكري، الطبرستاني، الرازي، الملقب بفخر الدين، والمعروف بابن الخطيب الشافعي، ولد سنة 544 هـ. كان رحمه الله فريد عصره وأعجوبة زمانه، جمع الكثير مِنَ العلوم وبرع فيها، فكان إمامًا في التفسير والكلام، والعلوم العقلية، وعلوم اللغة، وغيرها مِنَ العلوم حتى أَنْ قصده العلماء يرتحلون إليه لطلب العلم منه، وهو مع غزارة علمه كان واعظًا تقيًا، يَبكي ويُبكي مَنْ حوله، ترك الكثير مِنَ العلوم النافعة ومِنْ بينها كتابه التفسير المسمى بمفاتيح الغيب والمشهور بتفسير الرازي. توفي رحمه الله في الري سنة 606 هـ[206].

---

[206] ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (40/7).

- **طريقة الرازي في كتابه: مفاتيح الغيب**

يهتم الفخر الرازي في تفسيره ببيان المناسبات بَيْن آيات القرآن وسوره، كما يهتم بالعلوم الرياضية والكونية والفلسفية ويستطرد فيها أيما استطراد حتى ليظن القارئ أنه خرج مِنَ التفسير وإليه أشار أبو حيان في قوله: "جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير...."[207].

أما بالنسبة للمسائل الكلامية فهو يستوقف المعتزلة ويقرر مسألتهم ويرد عليه ردًا لا يراه البعض كافيًا وشافيًا، ولعل السبب يرجع إلى أنه كان يستفرغ أقوالًا في دليل الخصم، فإذا انتهى إلى تقرير دليل نفسه لا يبقى عنده شيء مِنَ القوى، ولا شك أن القوى النفسية تتبع القوى البدنية، وقد صرح في مقدمة نهاية العقول: أنه مقرر مذهب خصمه تقريرًا لو أراد خصمه تقريره لم يقدر على الزيادة على ذلك[208].

وفي علوم الفقه وآيات الأحكام فإنه يذكر مذاهب الفقهاء فيها، مع انتصاره للمذهب الشافعي– الذي يقلده– بالأدلة والبراهين[209].

ويستطرد في المسائل الأصولية وعلوم اللغة، وإن كان لا يتوسع في ذلك توسعه في مسائل العلوم الكونية والرياضية[210].

- **قيمة كتاب مفاتيح الغيب:**

انتشر كتاب مفاتيح الغيب وهو كتابٌ مطبوعٌ في ثماني مجلدات، ومتداولٌ بين أهل العلم، ولعله يحظى النصيب الأكبر في التفسير بالرأي نظرًا لكثرة استنباطه واستطراده للمسائل، حتى أنه في سورة الفاتحة قد ذكر لها عشرة آلاف مسألة!

---

[207] ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون (230/1–231) الذهبي، التفسير والمفسرون (194/1).

[208] المرجع نفسه. وينظر: ابن حجر، لسان الميزان (427/4–428).

[209] المرجع نفسه.

[210] المرجع نفسه.

Prince of Songkla University Pattani Campus

2- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي

- **نبذة عن المؤلف:**

هو قاضي القضاة، ناصر الدين أبو الخير، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، البيضاوي الشافعي، مِنْ بلاد فارس، صاحب المصنفات، مِنْ ضِمْنه (المنهاج) وشرحه في أصول الفقه، (وأنوار التنزيل وأسرار التأويل) في التفسير. ولي قضاء بشيراز، وتوفي بمدينة تبريز سنة 691 هـ وقيل غير ذلك[211].

- **طريقة البيضاوي في كتابه أنوار التنزيل وأسرار التأويل:**

يُمْكن القول: إن تفسير البيضاوي جاء مختصرًا لتفسير الكشاف والزمخشري، وتجريده مِنَ المعتقدات المعتزلية، كما يستمد تفسيره مِنْ مفاتيح الغيب للرازي، وتفسير الراغب الأصفهاني وأضاف عليهما رأيه وكلامه مما يدل على سعة علمه وحدة عقله مِنْ خلال نكته البارعة، واستنباطات دقيقة، كل هذا بعبارة سهلة موجزة[212].

تعرض البيضاوي في تفسيره للقراءات ولكنه اقتصر على الشواذ منها، كما يذكر المسائل الأصولية والفقهية والنحوية دون توسع وإكثار، ومما يؤخذ عليه ذكره فضائل التي تذكر في أواخر السور، وقد علم أن أكثرها لا تصح، ولعله ذكرها كونها جليًا له ضعفها ووهنها. وهو مقل للإسرائيليات وهو يرويها يرويها بصيغة التضعيف[213].

- **قيمة كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل:**

يعتبر كتاب أنوار التنزيل وأسرار التأويل متوسط الحجم ولكنه حوى علمًا كثيرًا، حتى كثر عليه الحواشي والتعليقات، وإنْ دل دل على قيمة التفسير وما منح الله له القبول بين أهل العلم[214].

---

211 ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (7/685-686).

212 ينظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون (1/211-214).

213 المرجع نفسه. (1/215-216).

214 ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (1/215-216).

Prince of Songkla University Pattani Campus

3- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي

- **نبذة عن المؤلف:**

هو أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي الحنفي، أحد الزهاد المتأخرين، والأئمة المعتبرين. كان إمامًا مختلف النظير في زمانه، عالمًا أصوليًا، بارعًا في الحديث ومعانيه، له مصنفات كثيرة في الأصول والفقه، توفي رحمه الله سنة 701 هـ ودفن ببلدة أيذج فرحمه الله رحمة واسعة[215].

- **طريقة النسفي في كتابه مدارك التنزيل وحقائق التأويل:**

هذا التفسير جاء مختصرًا لتفسير البيضاوي ومن الكشاف للزمخشري، وترك ما فيه من الاعتزالات، ويمكن معرفة طريقة تفسيره من خلال مقدمته التي ذكرها في أول تفسيره ما نصه: "قد سألني مَنْ تتعين إجابته، كتابا وسطا في التأويلات، جامعا لوجوه الإعراب والقراءات، متضمنا لدقائق علمي البديع والإشارات حاليا بأقاويل أهل السنة والجماعة، خاليا عن أباطيل أهل البدع والضلالة، ليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل، وكنت أقدم فيه رجلا وأؤخر أخرى، استقصارا لقوة البشر عن درك هذا الوطر، وأخذا لسبيل الحذر عن ركوب متن الخطر، حتى شرعت فيه بتوفيق الله .....، وسميته، (بمدارك التنزيل وحقائق التأويل)[216]".

وقد ضمن النسفي في تفسيره الخوض في المسائل النحوية ولكن دون إكثار واستطراد، كما أنه ملتزم بالقراءات المتواترة وينسب كل قراءة لقارئها[217].

كما يذكر الأحكام الفقهية المتعلقة بالآية، ويذكر الأقوال دون توسع. كما يتنصر لمذهبه الحنفي[218].

---

[215] ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (17/3).

[216] ينظر: النسفي، مدارك التنزيل (24/1).

[217] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (218/1).

[218] مثال: تفسيره في قوله تعالى: {والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء}[البقرة:228]. ينظر: النسفي، مدارك التنزيل (84/1-85).

- **قيمة كتاب مدارك التنزيل وحقائق التأويل:**

هذا وإن كتاب مدارك التنزيل حاز الفضل بين أهل العلم، وهو مطبوعٌ في أربع مجلدات متوسط الحجم، وانتفع به كثيرًا مِنَ الناس كما انتفعوا بغيره مِنْ مؤلفاته رحمه الله تعالى[219].

4- البحر المحيط: لأبي حيان

- **نبذة عن المؤلف:**

هو أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، الغرناطي، الحياني، الشهير بأبي حيان الأندلسي، ولد سنة 654 هـ. كان مُلمًا بالقراءات الصحيح منها والشاذ، قرأ القرآن على الخطيب عبد الحق بن علي إفرادًا وجمعًا، وغيره مِنَ القُراء المشهورين، وسمع الكثير مِنَ العلماء ببلاد الأندلس وإفريقية، وكانت حياته في طلب العلم إما نظرًا واطلاعًا أو تدوينًا وكتابةً. توفي بمصر سنة 745 هـ رحمه الله تعالى[220].

- **طريقة أبي حيان في تفسيره البحر المحيط:**

يتميز تفسير البحر المحيط في التوسع في مسائل اللغة ووجوه الإعراب، ويعد المرجع الأول في ذلك، ومع ذلك مع توسعه في المسائل النحوية لم يُهْمل رحمه الله مِنْ ذكر أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقِراءات مع توجيهها، والبلاغة القرآنية، كما لم يغفل عن ذكر الأحكام الفقهية عند مروره بآيات الأحكام جَرْيًا على ترتيبٍ خاصٍ ذَكَره في مقدمته: "وترتيبي في هذا الكتاب، أني أبتدئ أولا بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة لفظة، فيما يحتاج إليه مِنَ اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب، وإذا كان للكلمة معنيان أو معان، ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة، لينظر ما يناسب لها مِنْ تلك المعاني في كل موضع تقع فيه، فيحمل عليه، ثم أشرع في تفسير الآية، ذاكرا سبب نزولها، إذا كان لها سبب، ونسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها، حاشدا فيها

---

219 ينظر: المرجع السابق. (220/1).

220 ينظر: ابن حجر ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (58/6-65).

Prince of Songkla University Pattani Campus

القراءات، شاذها ومستعملها، ذاكرا توجيه ذلك في علم العربية، ناقلا أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها، متكلما على جليها وخفيها، .... ثم أختتم الكلام في جملة مِنَ الآيات التي فسرتها إفرادا وتركيبا بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع، .....، وتركت أقوال الملحدين الباطنية المخرجين الألفاظ القريبة عن مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على الله تعالى وعلى علي كرم الله وجهه وعلى ذريته، ويسمونه علم التأويل[221]".

- **قيمة كتاب البحر المحيط:**

يعتبر البحر المحيط المرجع الأول في التفسير الحاوي للمسائل النحوية ووجوه الإعراب، وهو مطبوعٌ في ثماني مجلدات ومتداولٌ بين أهل العلم[222].

5- **تفسير الجلالين: للجلال المحلي، والجلال السيوطي**

- **نبذة عن المؤلف:**

قام بتفسير الجلالين الإمامان الجليلان، جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي، وقد سبق ترجمة جلال الدين السيوطي عند الحديث عن كتاب الدر المنثور في التفسير المأثور.

أما جلال الدين المحلي فهو جلال الدين، محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي، تفتازاني العرب، كان عابدًصا زاهدًا ورعًا، حاد الذكاء كأنما ذكاءه يثقب الماس، وقافًا عند حدود الله، لا يأبه للظلمة يصدع أمامهم بكلمة الحق ولا تأخذه في ذلك لومة لائم، صنف الكثير مِنَ المصنفات الرائعة انتفع به الكثير مِنَ الناس. فسر في كتاب الجلالين الفاتحة ثم شرع في تفسير سورة الكهف حتى آخر سورة الناس ثم وافته المنية سنة 864 هـ. رحمه الله رحمة واسعة[223].

---

221 ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط (12/1-13).

222 ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (228/1).

223 ينظر: ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (447/9-448).

Prince of Songkla University Pattani Campus

- **طريقة تفسير الجلالين:**

مَنْ يَقرأ تفسير الجلالين لا يَلْحظ الفرق الشاسع بين طريقة المؤلفَين، فكلاها سارا على نسق معين مِنْ ذِكْر ما يُفهم مِن كلام الله تعالى، والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه، والتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة، على وجهٍ لطيفٍ، وتعبيرٍ وجيزٍ، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية، وأعاريب محلها الكتب العربية[224].

- **قيمة كتاب تفسير الجلالين:**

والكتاب مع اختصاره إلا أنه قَيِّمٌ في بابه، وهو مِنْ أعظم التفاسير انتشارًا، وأكثرها تداولًا وانتفاعًا، وقد طبع مرارًا، وحظي بكثير مِنْ تعليق العلماء، وحواشيهم، كحاشية الصاوي، وحاشية الجمل، وهما متداولان بين أهل العلم[225].

6- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود**

- **نبذة عن المؤلف:**

هو أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، الحنفي، ولد سنة 893 هـ بقريةٍ قريبةٍ مِنَ القسطنطنية، في بَيْت علمٍ وفضلٍ، قرأ كثيرًا مِنْ كُتُب العلم على والده، وتتلمذ لكثير مِنَ العلماء، فاستفاد منهم، حتى طارت سمعته، وفاضت شهرته، وعظم صيته، دَرَّس في كثير مِن المدارس التركية، وتقلد القضاء، له كثيرٌ مِن المصنفات النافعة.

توفي رحمه الله بمدينة القسطنطنية، ودفن بجوار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه سنة 982 هـ[226].

---

224 ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (239/1).

225 ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون. (240/1).

226 ينظر: الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (261/1).

- **طريقة أبي السعود في تفسيره:**

عنى أبو السعود في تفسيره إرشاد العقل السليم بالكشف عن بلاغة القرآن وسر إعجازه، كما يهتم بذكر المناسبات والتعرض لذكر القراءات في حدود ما يوضح به المعنى[227].

كما لم يُكثر أبو السعود في ذكر الإسرائيليات، وإنْ روى عمن اشتهر عنهم بالكذب فيعقبها بقوله والله أعلم، يرد بذلك أنه شاك في صحة روايتها[228].

ولم يُكثر أبو السعود في تفسيره مِنْ ذكر المسائل الفقهية، ويتناول ذكر وجوه الإعراب إذا كانت الآية تحتملها، ويُنزل الآية على اختلاف الأعاريب، ويرجح واحدا منها ويدل على رجحانه[229].

- **قيمة كتاب إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:**

يُعتبر الكتاب على ما فيه من الغاية من الدقة، وعدم خلط التفسير بما لا يتصل به؛ مرجعًا مُهمًا اعتمد عليه مَنْ جاء بعده مِن المفسرين، والكتاب طبع مرارًا وهو يقع في خمسة أجزاء متوسطة الحجم[230].

Prince of Songkla University Pattani Campus

المطلب الثالث: مفسرين جمعوا بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي:

هناك مفسرين جمعوا بين التفسير بالمأثور وبين التفسير بالرأي، ومن ضمنهم:

1- ابن الجوزي وتفسيره زاد المسير.
2- الإمام الآلوسي وتفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم.
3- القاسمي وتفسيره محاسن التأويل.

---

227 ينظر: المرجع السابق. (248/1).

228 مثاله في تفسيره لقوله تعالى: {وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون}[النمل: 35]. ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل (229/4).

229 المصدر نفسه. (224/1).

230 ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (250/1).

1- زاد المسير المسير في عِلْم التفسير: لابن الجوزي

- **نبذة عن المؤلف:**

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري، فقيه حنبلي، محدث ومؤرخ ومتكلم، ولد وتوفي في بغداد سنة 597 هـ. حظي بشهرة واسعة، ومكانة كبيرة في الخطابة والوعظ والتصنيف، كما برز في كثير من العلوم والفنون.

عُرف بابن الجوزي لشجرة جوز كانت في داره ببلدة واسط، ولم تكن بالبلدة شجرة جوز سواها، وقيل: نسبة إلى (فرضة الجوز) وهي مرفأ نهر البصرة231.

- **طريقة ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير:**

جمع ابن الجوزي في تفسيره أقوال المفسرين من المتقدمين وغيرهم، وأحيانا لا يذكر صاحب القول وإنما يقول وفي قوله تعالى (ثم يذكر الآية) قولان أو ثلاثة ثم يسردها، وأحيانا يرجح وأحيانا لا يرجح، ويتعرض كذلك للقراءات، ويتعرض كذلك للمسائل الفقهية واللغوية.

- **قيمة تفسير زاد المسير:**

يُعد الكتاب أحد أهم الكتب التي صنفها ابن الجوزي ، ويُعد أيضًا واحد من أهم كتب التفسير للقرآن الكريم الذي جمع بين المأثور والرأي، فقد عمد ابن الجوزي حين عقد النية على تأليفه إلى كتب الذين سبقوه في التفسير فقرأها وأشبعها دراسة، وإلى العلوم المساعدة للمفسر ليلم بموضوعه تمام الإلمام ورأى مَنْ خلا هذه الدراسة لمؤلفات السلف أن المفسرين قبله قد وقعوا في كثير التطويل تارة، والتقصير تارة، فاستفاد من الثغرات التي كانت في تفاسيرهم وألف تفسيره هذا مخلصا إياه في التطويل الممل ومِن الاختصار المخل وقال في خطبة الكتاب: "فأتيتك بهذا المختصر اليسير، منطويا على العلم الغزير، ووسمته بزاد المسير في علم التفسير وزاد المسير ببالغ عناية المؤلف في إخراجه[232]".

---

231 ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء (21/366-385).

232 ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير (1/11).

Prince of Songkla University Pattani Campus

2- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للآلوسي

- **نبذة عن المؤلف:**

هو أبو الثناء، شهاب الدين، السيد محمود أفندي الآلوسي- نسبة إلى قرية آلوس في جزيرة وسط الفرات- البغدادي، ولد سنة 1217 هـ في الكرخ مِنْ بغداد. كان شيخ علماء العراق، جمع كثيرًا مِنَ العلوم حتى كان عَلَمًا في المنقول والمعقول، شارحًا للأصول والفروع، محدثا لا يجارى، ومفسرًا لا يبارى، كل وقته في تحصيل العلوم و تأليفه وتنقيحه وتدريسه، قصد إليه الكثير مِن طلبة العلم مِن شتى أقاصي البلاد، وكان يواسيهم مِن ملبسه ومأكله، ويسكنهم مِن منازله الرفيعة، لا يجحد له فضل، وإليه انتهت الرياسة. له مصنفات كثيرة معظمها درس وعفت آثاره، وما حفظ انتفع الناس به كثيرًا كتفسيره روح المعاني. توفي رحمه الله سنة 1270 هـ، ودفن مع أهله في مقبرة الشيخ معروف الكرخي في الكرخ، رحمه الله تعالى[233].

- **طريقة الآلوسي في تفسيره روح المعاني:**

مَن يقرأ تفسير الآلوسي يرى فيه أن مؤلفه قد بذل جهده وأفرغ وسعه في إخراج مثل هذا الكتاب للناس، فقد جمع كل ما سبق مِن التفسير المأثور والرأي، منقحًا ومحررًا ومصوبًا بدقةٍ وعنايةٍ، وهو إذا نقل عن أبي السعود يشير إليه بقوله - قال شيخ الإسلام — وإذا نقل عن البيضاوي أشار إليه بقوله- قال القاضي- وإذا نقل عن الرازي أشار إليه بقوله-قال الإمام. وقد نقل أيضا مِن تفسير ابن عطية، وأبي حيان الأندلسي[234].

والآلوسي سُني المعتقد على طريقة أهل السنة والجماعة، فهو كثيرًا ما يفند آراء الشيعة والمعتزلة وغيرها مِن المذاهب المخالفة[235].

---

233 ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام (7/176-177).

234 ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (1/251-252).

235 مثال: تفسيره لقوله تعالى: {الله يستهزأ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون}[البقرة:15]، وتفسيره لقوله تعالى: {وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما}[الجمعة:11]. ينظر: الآلوسي، روح المعاني (1/160) (28/94).

Prince of Songkla University Pattani Campus

كما يُضمن في تفسير الآلوسي المسائل الكونية والنحوية وكثرة استطراده فيهما، ويستوفي جميع مذاهب الفقهاء عند المرور بآيات الأحكام دون تعصب لمذهب معين[236].

كما كان شديد النقد للإسرائيليات والأخبار المكذوبة التي حوت التفاسير السابقة التي ربما ظنوا أنها صحيحة، ويسخر منه أحيانا[237].

ولم يفت على الآلوسي ذكر القراءات ولكنه لم يتقيد بالمتواتر منها، كما أنه لم يغفل عن بيان وجه المناسبة بين الآيات والسور، وذكر أسباب النزول، وهو كثير الاستشهاد بأشعار العرب ليستدل على ما يذهب إليه من اختيار المعاني اللغوية[238].

- **قيمة كتاب روح المعاني:**

يُعد كتاب روحُ المعاني موسوعةً تفسيريةً قيمةً، جمعت معظم ما قاله علماء التفسير المتقدمين، مع النقد والتحرير والترجيح الذي يعتمد على قوة الذهن وصفاء القريحة، وهو مع توسعه في مختلف النواحي العلمية إلا أنه متزن في كلامه، مما يشهد له غزارة علمه[239].

Prince of Songkla University Pattani Campus

3-محاسن التأويل للقاسمي

- **نبذة عن المؤلف:**

هو جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، ولد سنة 1866م، حد رواد النهضة العلمية الدِّينية الحديثة ببلاد الشام في العصر الحديث، وأحد رجال العلم الكبار مِن المسلمين في النصف

---

[236] مثال: في استطراده للآيات الكونية كتفسيره لقوله تعالى: {والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم} [يس:38]. ومثال: استعراضه الأحكام الفقهية دون تعصب تفسيره لقوله تعالى: {ومتعهون على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين}[البقرة:236]. المصدر نفسه (12/12-19) (246/1).

[237] مثال: تفسيره لقوله تعالى: {ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا} [المائدة:12]. المصدر نفسه. (258/3-259).

[238] ينظر: الذهبي، التفسير والمفسرون (256/1).

[239] المصدر نفسه.

الأول من القرن الرابع عشر الهجري، وصاحب المؤلّفات القيّمة الكثيرة التي انتفع بها العلماء وطلاب العلم من المسلمين. توفي سنة 1914م[240].

- **طريقة القاسمي في تفسيره محاسن التأويل:**

اعتمد القاسمي في مصنفه على الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف وكثيرا من أقوال أئمة المسلمين الغابرين، ولم يقتصر في نقوله عن الأئمة الأربعة المعروفين بل كان يعتمد الرأي الحسن أين ما وجده سواء عند زيدي أو معتزلي أو خارجي أو حتى عند علماء الإفرنج لأن الحكمة ضالة المؤمن وهو يضفي على كتابه هذا وجميع كتبه اللون الأدبي البليغ الجميل.

- **قيمة تفسير محاسن التأويل:**

يُعد تفسير علامة الشام القاسمي موسوعة حديثة في التفسير، لأنه كان من المتأخرين، فاطلع على تفاسير السابقين، وعرف ما تخللها من غث وثمين، فضمن تفسير الكثير من نوادر الفوائد والفرائد، واختار أصح الآراء وأدقها، وعرضها بلغة العصر وأسلوبه.

Prince of Songkla University Pattani Campus

---

240 ينظر: الإستانبولي، شيخ الشام جمال الدين القاسمي. ص (39).

خلاصة الفصل الثاني

وبعد فبحمد الله انتهى الباحث مِن الفصل الثاني ، ويليه الفصل الثالث وهو ترجمة الامام البغوي والتعريف بكتابه معالم التنزيل ومنهجه الذي سار في تفسيره. وقبل ذلك يأتي ملخص للفصل الثاني وهو كما في النقاط الآتية:

1- إن التفسير له أنواعٌ بحسب وصوله إلينا؛ فإما تفسير بالأثر أو تفسير بالاجتهاد.

2- تعريف التفسير بالمأثور: " تفسير القرآن بالقرآن نفسه، أو ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم، أو ما نقله الصحابي والتابعي بيانًا لما جاء في كتاب الله".

3- تعريف التفسير بالرأي: "هو بذل الجهد في تفسير كتاب الله بعد توافر شروط معينة، مثل معرفة كلام العرب وأساليبهم، ودراسة الألفاظ القرآنية بالاستعانة بالشعر الجاهلي، والوقوف على أسباب النزول، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، وغيرها".

4- إن التفسير بالمأثور ضوابطه كضوابط عِلم الحديث.

5- إن التفسير بالرأي إما محمود وإما مذموم، والمحمود هو ما اكتمل فيه شروط التفسير بالرأي مِن توافر علوم اللغة العربية وعلوم القرآن وأصول الفقه وكافة أدوات الاستنباط والاجتهاد، والتفسير بالرأي المذموم ما فقدت تلك الشروط والضوابط.

6- مِن أهم المفسرين بالمأثور: الطبري، ابن كثير، والسيوطي في كتابه الدر المنثور.

7- مِن أهم المفسرين بالرأي المحمود: الرازي، والبيضاوي، وأبي حيان الأندلسي.

8- مِن أهم المفسرين الذين جمعوا بين التفسير بالمأثور والرأي: الآلوسي.